

٥٣
إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
قصر الشيطان
RASHID
WWW.DVD4ARAB.COM
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ـ لعبة الشيطان ..

وقف (ممدوح) يتطلّع إلى رواد الكافتيريا الملحقة بأحد الفنادق بحثًا عن شخص ما، وفجأة أحسَّ بلمسة رقيقة على كتفه، وسمع صوتًا ناعمًا يقول:

ـ مستر (ممدوح).

والتفت (ممدوح) إلى الفتاة الحسناء، ذات الشعر الذهبى، والعينين الخضراوين، قائلًا وهو يعبِّر عن إعجابه بابتسامة جذابة:

ـ نعم.. أنا هو.

قالت الفتاة، وهى تسوّى خصلة الشعر، التى تدلّت على وجهها.

ـ مستر (إدوارد) فى انتظارك بجناحه الخاص.

قال (ممدوح) مبديًا دهشته:

ـ جناحه الخاص؟!.. ظننت أننا سنلتقى هنا، فقد كان الاتفاق على ذلك.

ردَّت الفتاة :

ــ مستر (إدوارد) يفضّل أن يُجرى جميع مقابلاته وأعماله، فى الجناح الذى استأجره بالفندق، بدلًا من الأماكن العامة، فهل تجد مانعًا فى ذلك ؟

هزّ (ممدوح) كتفيه باستخفاف، قائلًا :

ــ لا .. مطلقًا .

قالت الفتاة بابتسامة ساحرة :

ــ حسنًا .. هل تتفضل بمصاحبتى ؟ سأرشدك إلى الجناح الذى يقيم فيه مستر (إدوارد) .

صحبها (ممدوح) إلى مصعد الفندق، وهو يسألها .

ــ هل أنت سكرتيرته ؟

ابتسمت الفتاة ، قائلة :

ــ إنك قوىّ الملاحظة يا مستر (ممدوح) .

قال لها (ممدوح) بخبث، بعد أن استقرّ بهما المقام داخل المصعد .

ــ بأكثر مما تتصورين أيتها الحسناء .

وفجأة أمسك ساعد الفتاة، واضعًا يده الأخرى خلف رأسها، ليدفعها بقوة نحو باب المصعد، لترتطم عدة مرات فى

الباب المعدنى، وحاولت الفتاة أن تتخلّص منه، بتسديد رَكْلة قويّة إلى ساقه، ولكن (ممدوح) تفادى الرَّكْلة الموجهة إليه ببراعة، ثم سدّد لكمة عنيفة إلى فكّ الفتاة، جعلتها تهوى فوق أرضية المصعد فاقدة الوعى، وبعدها حرّر ساعدها من قبضته، ليتناول إبرة معدنية طويلة، ذات سن مدبّبة، كانت تخفيها فى يدها، وتهمّ بغرزها فى ذراعه، ضغط أحد أزرار المصعد ليوقف حركته، وهو يفحص تلك المادة على سن الإبرة المدبّبة، وقد أخذ بعضها يسقط على أرضية المصعد، قائلًا :

ــ سيانيد مركّز ؟ طريقة مضمونة للقتل السريع، ولولا دقّة الملاحظة، لكان هذا السمّ قد قضى علىّ فى الحال .

مدّ (ممدوح) يده لينزع باروكة الشعر، التى تضعها الفتاة فوق رأسها، كاشفًا وجه رجل، وابتسم وهو ينظر إلى الرجل، الذى بدأ يسترد وعيه، مستطردًا فى سخرية :

ــ أليس كذلك يا عزيزى ؟ إنك وَسيم بدرجة تجعلك أقرب شبهًا إلى الفتيات، لكن كان يجب عليك أن تبدى عناية أكثر بأصابع يديك، حتى لا تكشف أنوثتك المزيفة .. حظًا طيبًا فى المرّة القادمة .

وساعده على النهوض، قائلًا :

ـــ والآن هيّا .. أعد الباروكة إلى رأسك ، ودعنا لا نتأخر عن موعدنا مع رئيسك مستر (إدوارد) .

وحاول الرجل أن يبدى مقاومة ، ولكن مسدّس (ممدوح) الملتصق بجانبه جعله يحجم عن ذلك ، وأعاد (ممدوح) تشغيل المصعد ، وهو يضع منديله ، الذى مسكه باليد الأخرى ، فوق المسدّس ، قائلًا :

ـــ تذكّر .. أية حركة مريبة لن تجعلنى متسامحًا معك مرة أخرى ، ولا أعتقد أن مستر (إدوارد) سيهتم حتى بإرسال الزهور إلى قبرك .

تقدّم الرجل مغادرًا المصعد ، بعد توقّفه ، و (ممدوح) فى أثره ، حيث سار خلفه فى ممرّ طويل ، تقع على أحد جانبيه بعض الغرف المغلقة ، وفى نهايته باب جناح كبير ، وبدا أن الرجل يقود (ممدوح) إلى ذلك الجناح ، ولكن نظرة سريعة من (ممدوح) إلى إحدى المرايا ، التى تصطفّ على الجانب الآخر من الممرّ ، جعلته يلحظ فوهة بندقية تطل من فرجة صغيرة ، فى أحد الأبواب المغلقة ، وهى مصوّبة إليه ، وأدرك أن هناك من يسعى لقتله ، قبل أن يصل لنهاية الممرّ ، فاستدار حول نفسه سريعًا ، فى حركة مفاجئة مطلقًا رصاصة من مسدّسه الكاتم

للصوت ، فى اتجاه الباب نصف المغلق ، وانطلقت صرخة من الداخل ، فى حين سقطت البندقية أرضًا ، وبنفس السرعة والصلابة أطبق (ممدوح) على ياقة سترة الرجل ، المتنكّر فى هيئة امرأة ، وعلى الحزام الملتفّ حول خصره ، ثم دفعه بقوة فى اتجاه الباب ، وأسقطه عليه بكل ثقله ، فانفتح على مصراعيه ، وتعثّر الرجل المتنكر فى جسد الشخص الذى صرعته رصاصة (ممدوح) فسقط على الأرض بدوره ، واندفع (ممدوح) إلى الداخل كالقذيفة ، ووجد أحد الأشخاص يقف فى منتصف الغرفة ، يرتّب بعض الأوراق داخل حقيبته ، فى سرعة وعجلة .. ولم يبد الاضطراب على الرجل ، لدى مشاهدته (ممدوح) ، بل استمر فى متابعة ترتيب أوراقه ، وهتف به (ممدوح) وهو يشهر مسدسه فى وجهه :

ـــ ارفع يديك عاليًا يا مستر (إدوارد) ، فلن تستطيع مواصلة رحلتك بعيدًا عن هنا .

أغلق (إدوارد) حقيبته ، وهو ينظر إلى (ممدوح) فى برود ، وفى تلك اللحظة ظهر أحد الأشخاص من خلف (ممدوح) ، وأطلق نحوه رصاصتين متعاقبتين ، من مسدّس كاتم للصوت ، استقرتا فى ظهر (ممدوح) ، الذى جحظت عيناه ، فى حين تقدم

(إدوارد) نحوه فى ثبات، وهو يحمل حقيبته، فارتمى (ممدوح) على صدره، وتعلّق بسترته لحظة، ثم لم يلبث أن تهاوى أرضًا دون حراك، والدماء تنزف منه بغزارة، وأزاحه (إدوارد) عن طريقه بقدمه، وهو ينظر إليه فى شماتة، قائلًا:

ــ وداعًا.. أيها المقدَّم (ممدوح).. أعتقد أن سعادة زعيم المنظمة، بنجاح عملية تهريب الذهب، لن تقل من سعادته بالتخلّص منك.. وإلى الأبد.

قال الرجل، الذى أطلق الرصاص على (ممدوح):

ــ بسرعة يا مستر (إدوارد)، فبعض رجال الأمن بالفندق فى طريقهم إلى هنا.

قال (إدوارد) بثبات أعصاب:

ــ هل تأكّدتم من إخفاء الذهب فى السيارة؟

أجابه الرجل، وهو يستحثه على سرعة مغادرة الغرفة:

ــ لقد رتّبنا كل شىء كما أردت، والآن هيَّا بنا، قبل أن يصل بعضهم إلى هنا.. سنغادر الفندق من السلم الخلفى، حيث نجد السيارة فى انتظارنا.

وفى تلك اللحظة كان الرجل المتنكّر فى ثياب المرأة قد نهض من عثرته، فألقى نظرة كراهية على جسد (ممدوح) المسجى على الأرض، واندفع (إدوارد) مغادرًا الحجرة، وهو يقول:

ــ هيَّا بنا.

غادر الغرفة، وفى أثره الرجل الذى أطلق الرصاص على (ممدوح)، من خلفهما الرجل المتنكّر فى ملابس النساء، بعد أن نزع باروكته وملابسه النسائية، ليلقيها فوق جسد (ممدوح) وهو يبصق عليه قبل مغادرته للمكان، وما أن غادرت تلك المجموعة الغرفة، حتى دخل بعض الأشخاص الآخرين إليها، وارتكز أحدهم على إحدى ركبتيه إلى جوار جسد (ممدوح)، وهو يهمس، قائلًا:

ــ كل شىء تمام يا سيادة المقدَّم.

وفى تلك اللحظة انقلب (ممدوح) على ظهره، وهو ينظر إلى محدثه، قائلًا:

ــ حسنًا.. هل غادر (إدوارد) وأعوانه الفندق؟

أجابه الرجل، الذى لم يكن سوى الرائد (رفعت)، ومعه بعض زملائه:

ــ نعم.. لقد أتحنا لهم فرصة الهروب.

نهض (ممدوح) واقفًا، وهو ينزع سترته وقميصه، كاشفًا عن سترة واقية من الرصاص، كان يضعها حول جسده، وقد ثُبِّتت بها بعض الأكياس الدموية الصغيرة، التى تفجَّر بعضها

إثر إطلاق الرصاص، ليوحى بإصابته وتدفّق الدماء من جسده، وابتسم (رفعت) وهو يقدّم لـ(ممدوح) معطفًا أبيض، ليرتديه بدلاً من السترة والقميص، اللذين تلوّثا بالدماء، قائلًا:

— كانت فكرة ارتدائك هذا القميص الواقى من الرصاص قبل حضورك إلى هنا جيّدة، على الرغم من معارضتك لارتدائه فى البداية، فلولا ذلك لكان هؤلاء الأشرار قد نجحوا فى قتلك بالفعل.

وقال أحد زملائهما:

— وتلك الأكياس الدموية ساعدت على إخراج مشهد القتل، الذى قام به سيادة المقدّم فى صورة طبيعية.

قال (ممدوح)، وهو يرتدى المعطف فى سرعة:

— على كل حال فأنا ما زلت لا أُفضّل استخدام القميص الواقى من الرصاص، وفى حالة عدم استخدامه ستكون هناك خطة بديلة، والآن علينا أن نتحرّك سريعًا، قبل أن يبتعد (إدوارد) وأعوانه.

سأله (رفعت)، وهو يلاحقه فى اندفاعه داخل المصعد:

— هل عرفت الوسيلة، التى سيستخدمونها، فى تهريب الذهب؟

قال (ممدوح)، وهو يضغط زرّ المصعد:

— لقد سمعت أحدهم يتحدّث إلى (إدوارد) عن إخفائه فى السيارة، أو شىء من هذا القبيل.. على كل حال ستتضح الأمور خلال اللحظات القادمة، المهم أن نلحق به، قبل أن يغادر (القاهرة).

قال (رفعت):

— لقد أعددنا كل شىء، سنسلك طريقا فرعيًا مختصرًا، يتيح لنا فرصة اللحاق بهم، خلال الدقائق القادمة.

قال (ممدوح)، وهو يغادر المصعد:

— حسناً.. هيًا بنا.

وفى تلك اللحظة، كانت السيارة التى تقل (إدوارد) ورفيقيه تتخذ طريقها فى شوارع (القاهرة)، و(إدوارد) يهتف فى سائقها.

— أسرع.. أسرع.

وفجأة وضع (إدوارد) يده على صدره، وهو يصرخ، قائلًا بألم:

— قلبى! ق.. قلبى!

سأله أحدهما فى جزع:

ـــ ما الذى ألمَّ بك يا مستر (إدوارد)؟

قال (إدوارد)، وهو يمرِّر يده على صدره، فوق موضع القلب، وقد أخذت أنفاسه تتلاحق بصعوبة.

ـــ يبدو أن الأزمة القلبية قد عاودتنى.

قال الآخر:

تجلّد يا مستر (إدوارد)، سنبحث لك عن طبيب فى الباخرة بمجرد وصولنا.

ولكن (إدوارد) بدا غير قادر على التحمّل، وقد غمرت حبّات العرق جبينه، فعاد يقول والألم يعتصره:

ـــ لن أستطيع الانتظار.. الأزمة شديدة للغاية هذه المرة.

سأله أحدهما:

ـــ وماذا نستطيع أن نفعل من أجلك فى ظل هذه الظروف العصيبة؟

قال (إدوارد)، والكلمات تخرج من بين شفتيه بصعوبة:

ـــ استخدم جهاز اللاسلكى فى السيارة، للاتصال بإحدى سيارات الإسعاف فورًا.. يجب أن أنتقل إلى أقرب مستشفى أو عيادة طبية فى الحال، وإلا فسألقى حتفى.

بدا الرجل متردِّدًا، وهو يقول:

ـــ ولكن...

انفعل (إدوارد)، قائلًا:

ـــ قلت أننى سأموت أيها الوغد.. نفِّذ ما قلته لك فى الحال.

ورضخ الرجل للأمر الصادر إليه، فتناول جهاز اللاسلكى فى السيارة، محاولًا الاتصال بإحدى سيارات الإسعاف.

وفى أحد الشوارع الجانبية، على مسافة قريبة، كانت هناك سيارة إسعاف مهيأة لتلقى الإشارة اللاسلكية، كما لو كانت تنتظرها، وفى الحال تحركت السيارة لتلتقى بسيارة (إدوارد) ورفيقيه، فى أحد المنعطفات، وسأل أحد الرجلين (إدوارد)، قائلًا:

ـــ هل نصحبك إلى المستشفى؟

ولكن (إدوارد) قال فى صراحة على الرغم من الألم الذى يكسو وجهه:

ـــ كلّا.. واصلوا طريقكم بالسيارة إلى الميناء، وتولّوا عملية الشحن، أما أنا فسأجد وسيلة ما للحاق بكم، قبل مغادرة الباخرة للميناء، وبمجرد اجتياز هذه الأزمة.

عاد الرجل فسأله ، قائلًا :

ـــ وإذا لم تحضر ؟

(إدوارد) :

ـــ استمروا فى مهمتكم حتى النهاية ، فمندوب المنظَّمة سيكون فى انتظاركم بميناء (ليفربول) ، بحسب الموعد المحدود ، أما أنا فإذا لم تقضى علىّ تلك الأزمة ، فسأعرف كيف أغادر هذه البلاد اللعينة ، مهما كانت المخاطر المحيطة بى .

وفى تلك اللحظة وصلت سيارة الإسعاف ، وتوقفت بالقرب من السيارة التى تقل (إدوارد) ورفيقيه ، وأسرع إثنان من الممرضين ينقلان (إدوارد) من سيارته إلى سيارة الإسعاف ، وسأل أحدهما أحد رفيقى (إدوارد) .

ـــ ألن يصحبه أحدكما إلى المستشفى ؟

وأجابه الرجل ، قائلًا :

ـــ كلا ـــ سنلحق به فيما بعد .. فقط أعطنى اسم المستشفى التى ستنقله إليها .

أجابه الممرِّض .

ـــ هذا يتوقف على مدى استعدادها لاستقبال الحالة .. على كل حال لن يخرج الأمر عن واحدة من تلك المستشفيات .

وقدم له قائمة بأسماء بعض المستشفيات القريبة ، ثم أسرع يركب سيارة الإسعاف ، التى واصلت طريقها ، وهى تطلق نفيرها ، لكى تفسح لها السيارات الأخرى الطريق ، ونظر الرجل ، الذى كان يصاحب (إدوارد) ، إلى سيارة الإسعاف وهى تنطلق أمامه فى غضب ، وقد أطبق على الورقة التى تحتوى على أسماء المستشفيات ، التى يُحتمل نقل (إدوارد) إليها ، ليلقيها على الأرض ، قائلًا فى حنَق :

ـــ ألم تَخْتَر سوى هذا الوقت لتمرض فيه ؟ هذا من سوء حظّك ، فلا أعتقد أنك ستعود إلى (ليفربول) مرة أخرى أيها العزيز (إدوارد) .

جذبه زميله من ذراعه ، وهو يدعوه لركوب السيارة ، قائلًا :

ـــ هيا بنا .. يجب أن نسرع بالذهاب إلى الميناء ، وإلّا فلن نعود كلنا إلى (ليفربول) مرة أخرى .

وما أن استقر المقام بـ(إدوارد) داخل سيارة الإسعاف ، وتمدَّد فوق الطاولة الطبية ، التى نقله إليها الممرضان ، حتى استدار يجلس فى مواجهة ذلك الشخص ، الذى يرتدى المعطف الأبيض ، والذى ظنّه طبيب الإسعاف ، ولكن الدهشة

اعتلت وجهه، وهو يحدّق فى ذلك الطبيب المزعوم، بعد أن نزع المنظار الطبّى من فوق عينيه، وذلك الشارب المزيف الذى كان يضعه، وقد علت ابتسامة ساخرة وجهه، وهتف (إدوارد)، وقد تجلّت الدهشة فى صوته:

ــ (ممدوح)؟.. (ممدوح عبد الوهاب)؟!

بقى (ممدوح) محتفظًا بابتسامته الساخرة، وهو يقول:

ــ مفاجأة.. أليس كذلك؟.. إننى واثق من أنها مفاجأة غير سارة بالنسبة لك.

أخذ (إدوارد) يردّد فى ذهول:

ــ ولكن.. ولكن.. كيف؟!.. لقد مت.. لقد رأيتك بعينى وأنت....

قاطعه (ممدوح).

ــ لا داعى لأن ترهق نفسك بحل تلك الألغاز، فأنت رجل مريض بالقلب، ويجب أن نهتم أولًا بعلاجك.. وصحيح أنك لم تعبأ بموتى، إلا أننى أريدك حيًّا.

ازدادت غزارة العرق على وجه (إدوارد)، واتسعت ابتسامة (ممدوح)، وهو يقول له:

ــ على كل حال فالعلاج بسيط، ولا يستدعى منك كل هذا القلق.

ومدّ يده إلى ياقة سُترة (إدوارد) من الداخل، لينتزع منها جهازًا دقيقًا، فى حجم زر القميص، قائلًا:

ــ هكذا تكون أزمتك القلبية قد انتهت.

ازدادت دهشة (إدوارد)، فقد أحسّ بارتياح حقيقى، بعد أن نزع (ممدوح) ذلك الجهاز الضئيل من سترته..

وفى أثناء ذلك كانت إشارة المرور الضوئية قد أضاءت بالضوء الأحمر، لتوقف رتل السيارات القادمة من أحد الشوارع العامة، وضرب سائق السيارة، التى كانت تقل (إدوارد)، على عجلة القيادة فى حنق، قائلًا:

ــ ألا نهاية لتلك الإشارات اللعينة؟

قال له أحد الرجلين، اللذين كانا يصحبان (إدوارد):

ــ تمالك أعصابك، والتزم بالإشارة، فنحن لا نريد أن نلفت إلينا الأنظار.

ولكن الأنظار كانت ملتفتة إليهم بالفعل، إذ سُرعان ما انفتحت أبواب سيارتين، عن يمين ويسار تلك السيارة، فى أثناء توقف حركة المرور، ليغادرهما عدد من الأشخاص، فى سرعة ونشاط، ويفتحون أبواب السيارة المشبوهة من الجانبين، وهم يندفعون داخلها، وقبل أن يصدر أى ردّ فعل

من راكبى السيارة ، كان أُولئك الأشخاص قد استقروا داخلها ، وهم يُشهرون أسلحتهم فى وجوههم ..

وأُضيئت الإشارة الخضراء ، فقال أحد الذين اقتحموا السيارة للسائق بلهجة آمرة :

ـ واصل طريقك ، وسأرشدك إلى أين تذهب ؟

قال أحد أعوان (إدوارد) :

ـ ما معنى هذا ؟

أجابه أحد الذين اقتحموا السيارة :

ـ معناه أنكم الآن تحت سيطرة رجال المكتب (١٩) ، وعليكم أن تدلّونا على المكان ، الذى أخفيتم فيه الذهب المهرب ، ما دمتم تسلّمون بهذه الحقيقة .

ردّ عليه الرّجل ، قائلًا :

ـ أىّ ذهب ؟ إننى لا أدرى عن أى شئ تتحدث ، وما زلت لا أفهم معنى هذا ، وأية تهمة تلك التى توجهونها إلينا ؟

أجابه رجل المكتب (١٩) ، وهو يشير إلى زميله :

ـ حسناً .. ستفهم كل شئ حالا ، ما دمت تدّعى الغباء .

وعلى الفور أخرج الزميل ، الذى تلقّى الإشارة ، مطواة من



ومدّ يده إلى ياقة سُترة (إدوارد) من الداخل ، لينتزع منها جهازاً دقيقاً ، فى حجم زر القميص ..

جيبه ، يشق بها الغطاء الجلدى لباب السيارة من الداخل ، كاشفًا عن عدد من السبائك الذهبية ، المختفية خلفه ، ونظر رجل المكتب (١٩) إلى المهرِّب ، قائلًا :

ــ أعتقد أنك قد فهمت الآن ، وستفهم أكثر عندما نتولى تمزيق المقاعد ، وسقف وأرضية السيارة ، للكشف عن المزيد من السبائك الذهبية ، التى كنتم تنوون تهريبها فى تلك السيارة .

وقال شخص آخر ، من رجال المكتب (١٩) ، وهو ينظر إلى المهرّبين ، الذى بدا عليهم الاستسلام والرضوخ ، بعد أن انكشفت وسيلتهم .

ــ أظن أن هذه السيارة ستصبح أغلى سيارة فى العالم ، خاصة بعد الكشف عن كل ما تحتويه من سبائك .

وفى تلك اللحظة كان (ممدوح) يردّ على دهشة (إدوارد) ، قائلًا :

ــ إننى أقدّر مدى دهشتك ، لهذا التحسّن السريع ، الذى طرأ على حالتك ، بعد أن نزعت هذا الجهاز الدقيق من ياقة سترتك ، فى هذا الموقع القريب من قلبك ، ولكن الأمر فى منتهى البساطة .. لقد كنّا نعلم أنك قد تعرضت لأزمة قلبية من قبل ، بعد وصولك إلى (القاهرة) ، واستخدمنا هذه الخدعة

لنقلك إلى سيارة الإسعاف الزائفة هذه ، فحينما أطلق أحد أعوانك الرصاص علىَّ من الخلف ، فأصاب السترة الواقية ، ألقيت بنفسى عليك ، أثناء تظاهرى بالسقوط على الأرض ، وفى أثناء ذلك ثبّت ذلك الجهاز الدقيق فى ياقة سترتك من الداخل ، قريبًا من القلب ، وهو جهاز يعمل بتوقيت زمنى ، كل عشر دقائق ، ولمدة ربع الساعة ، ثم يعاود التوقف والعمل هكذا ، وفى أثناء عمله يُصدر بعض الذبذبات الإلكترونية ، التى تؤثر على القلب ، وتعطى إيحاءً كاذبًا بتعرّضه لأزمة شديدة ، ولكنها غير حقيقية ، ويعتمد الباقى على أوهام الشخص الذى يتعرض لهذه الذبذبات ، وخاصة إذا كان قد سبق له التعرّض لأزمة قلبية . أو كان يتحلّى بأعصاب ضعيفة مثلك ، وهكذا استخدمنا هذا الجهاز ، لنوحى إليك بأنك تمرّ بأزمة قلبية شديدة ، حتى ننجح فى نقلك إلى سيارة الإسعاف الزائفة ، التى ستقلك إلى إدارة العمليات الخاصة ، حيث تُجرى معك التحقيقات اللازمة ، بشأن إشرافك على عملية تهريب سبائك الذهب ، من (مصر) إلى الخارج .

قال (إدوارد) ، وهو يرمقه بنظرات نارية :

ــ خيالك خصب أيها المقدَم ، فلا علاقة لى مطلقًا بأية

عمليات تهريب ، اللّهم إلا إذا اعتبرت ذلك الخاتم فى إصبعى ، والذى اشتريته من أحد محلات الصاغة فى (القاهرة) ، يدخل فى إطار تهريب الذهب ، لو غادرت بلادكم وأنا أحمله فى تلك الإصبع .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ــ دعابة لطيفة .. تأكّد أن ذكائك هذا لن يفيدك بشىء ، ففى اللحظة التى أتحدث فيها إليك الآن ، توجد مجموعة من زملائى ، تسيطر على السيارة التى كنت تركبها منذ قليل ، وتأكّد أنهم سيخرجون أحشائها جزءًا .. جزءًا ، حتى يخرجوا سبائك الذهب ، التى أخفيتها داخل حشايا هذه السيارة .

بدا على (إدوارد) الارتباك لحظة ، ولكنه عاد للتظاهر بالتماسك ، وهو يقول :

ــ وإذا افترضنا أن قولك هذا صحيحًا ، وأنهم فى سبيلهم لوضع أيديهم على سبائك الذهب المزعومة ، فما الذى تريده منى الآن ؟ وما جدوى تمثيلية الأزمة القلبية ، وسيارة الإسعاف هذه ؟

قال (ممدوح) ، وهو يرمقه بنظرة ثاقبة :

ــ لقد قصدت أن أُبعدك عنهم ، فى أثناء تفتيش السيارة ، حتى أمنحك قدرًا من الحرية للتحدّث .

سأله (إدوارد) بارتياب :

ــ التحدّث ؟!.. التحدث عن ماذا ؟ ألم تقل أنك متأكد من وجود الذهب فى السيارة ؟

(ممدوح) :

ــ نعم .. ولكنى لا أريد التحدّث عن الذهب الموجود فى السيارة ، بل الذهب الذى أخفيته عن الآخرين .

تطلع إليه (إدوارد) بقلق ، قائلًا :

ــ ماذا تعنى ؟

(ممدوح) :

ــ الذهب الذى حشوت به تلك السيارة ، التى كنت تنوى تهريبها إلى الخارج ، يقدَّر بثلاثمائة كيلو جرام ، وهذا ما نعرفه ، ولكن هناك مائة وخمسون كيلو جرامًا أخرى ، نعرف أنك قد وضعت يدك عليها ، ولكننا نجهل أين أخفيتها ؟

وهذه اللعبة لعبتها لحسابك بالطبع دون علم المنظمة ، وإلا كانوا قد مزّقوك إربًا ، لو عرفوا ذلك ، والآن السؤال المطلوب منك الإجابة عنه ، هو : أين أخفيت ذلك الذهب ؟..

نعم .. هذا هو السؤال ..

أين ؟

* * *



٢ ـــ الوحش الطائر ..

استقبل اللواء (مراد) (ممدوح) فى مكتبه ببشاشة ، قائلًا :

ـــ عملية موفّقة تمامًا يا (ممدوح) .. لقد أدلى (إدوارد) باعترافات كاملة ، عن دوره فى الخطة ، التى وضعتها منظمة (الكوبرا)(*) ، لتهريب سبائك الـــذهب خارج (مصر) ، والمكان الذى أخفى فيه ذلك الذهب ، الذى حاول الاستيلاء عليه لحسابه ، دون علم المنظمة .. وتمكّنا من استخراجه من إحدى المغارات الجبلية بـ (السويس) .

ممدوح :

ـــ لقد كان يأمل فى العودة مرة أخرى إلى (مصر) ، أو استخدام أحد أعوانه فى استرداد ذلك الذهب ، الذى حاول أن يستولى عليه لنفسه ، بعد أن أقنع المنظمة بأن الكمية التى

(*) (الكوبرا) منظمة إجرامية دولية تمارس عددا من الأنشطة الإجرامية المختلفة ، وسبق لممدوح التصدى لها فى روايات سابقة مثل (الثعلب والأفعى) ، (كهف الشيطان) ... الخ .

يمكنه تهريبها ، لن تتجاوز ثلاثمائة كيلو جرام فقط ، وحاول أن يُدخل ذلك فى روعنا أيضاً ، ولكننا كنّا له بالمرصاد .

أغلق اللواء (مراد) ملفًا مفتوحًا أمامه ، قائلًا :

ــ وبذلك يمكننا إغلاق ملف القضية ، فيما يتعلّق بنا ، لنترك باقى الأمر للقضاء ؛ لكى يحاسب واحد من أقطاب تلك المنظمة الإجرامية الشهيرة .

نهض (ممدوح) ، قائلًا :

ــ أعتقد أننى أستحق الإجازة الآن يا سيِّدى .

ابتسم اللواء (مراد) ، قائلًا :

ــ بالطبع .. ستحصل على أسبوع كامل اعتبارًا من الغد ، ولكن عليك أن تخبرنا بالمكان الذى تنوى قضاء إجازتك فيه ، قبل القيام بها ، حتى يمكننا أن نتصل بك عند الضرورة .

وأجابه (ممدوح) :

ــ أعتقد أننى سأسافر إلى (قبرص) ، فلى صديق مصرى من رجال الأعمال ، يمتلك فيلا على البحر هناك ، وقد دعانى أكثر من مرة ، لقضاء إحدى الإجازات فى فيلته ، وأظن أن الوقت قد حان لتلبية تلك الدعوة .

ابتسم اللواء (مراد) ، قائلًا :

ــ حسنًا .. أرسل لنا العنوان ورقم الهاتف بمجرّد وصولك ، وكن على حذر ، فهناك العديد من الشياطين يسعون خلفك أينما ذهبت ، خاصة عندما تكون خارج هذه البلاد .

ابتسم (ممدوح) بدوره ، قائلًا :

ــ إننى أبغى الحصول على إجازة هادئة ، ولكن لو أصرّ أحد أُولئك الشياطين على إفسادها فسألقى به فى الجحيم .

وانطلقت من أعماق قلبه ضحكة مرحة صافية ..

***

وفى إحدى المستشفيات الخاصة ، فى شمال (انجلترا) توافد عدد من المرضى الأثرياء على المستشفى ، فى ساعة متأخرة من الليل ، وتوقّف عدد من السيارات الفاخرة أمام مبنى المستشفى الأنيق ، ليهبط منها أولئك الأشخاص ، الذين هرع المدير لاستقبالهم ، وفى صحبته عدد من الممرضات الحسناوات ، قامت كل منهن باصطحاب أحدهم إلى الغرفة المخصصة له داخل المستشفى ، ومن الغريب أن أولئك المرضى ، الذين توافدوا على المستشفى ، لم يكن يبدو عليهم أدنى مظهر من مظاهر المرض ، وهم يغادرون سياراتهم ويرتقون

سلالم المستشفى، بل كانوا يبدون موفورى الصحة والعافية تمامًا، وعلى الرغم من التوقير والاحترام البالغ، الذى كان مدير المستشفى يستقبلهم به، إلّا أن وجوههم لم تكن تحمل أى تعبير حقيقى، وبدت وجوههم كما لو كانت جامدة، أو مصبوبة فى قوالب ثابتة، وما أن استقر كل منهم داخل غرفته، حتى قام بإغلاقها من الداخل، ثم قام بتثبيت جهاز فى حجم الراديو الترانزستور الصغير فى إحدى زوايا الجدران، داخل الغرفة، فتحرك الجدار المجاور لموقع تثبيت الجهاز حركة جانبية، لمسافة متر ونصف، كاشفًا عن فراغ خلفه، وتقدّم أولئك الرجال عبر الجدار المفتوح، بعد أن استرد كل منهم جهازه المغناطيسى، ليُغلق خلفهم من جديد، وبعد دقيقتين من مرور الأشخاص الغامضين، عبر الجدران السرّية لغرفهم، وصلت سيارة أخرى فارهة، توقّفت أمام المبنى الداخلى للمستشفى، حيث غادرها سائقها سريعًا؛ ليفتح بابها الخلفى، وعاد مدير المستشفى يهبط فى درجات السلم القصير، مستقبلًا صاحب السيارة، الذى بدا أكثر مهابة ورهبة ممن سبقوه، فقد كان طويل القامة، عريض المنكبين، له شارب وشعر فضّى لامع، وعينان كعين الصقر فى حدّتهما..

وتقدَّم الرجل نحو مدير المستشفى بتثاقل، وهو يصافحه بتعالٍ، فى حين قال مدير المستشفى، مرحّبًا:

ـ مرحبا بك يا مستر (شيلتون).. الرئيس فى انتظارك.

قال (شيلتون) بنفس النبرة المتعالية، التى تتفق مع مظهره:

ـ هل وصل الجميع؟

أجابه مدير المستشفى، وهو يرتقى معه درجات السلم:

ـ نعم.. إنك الأخير.

وأشار مدير المستشفى لإحدى الممرضات، لكى تصحب مستر (شيلتون) إلى غرفته، ولكنه قال له:

ـ لا داعى لذلك.. فأنا أعرف طريقى جيِّدًا.

وتقدّم الرجل عبر الممرّ المؤدى إلى غرفته، وقام بإغلاق بابها خلفه، كما فعل الآخرون، وثبّت جهازًا مماثلًا لذلك الذى كان فى حوذتهم، على إحدى زوايا جدران الغرفة، فتحرَّك الجدار المجاور، كاشفًا عن الفراغ الموجود خلفه، وعبر (شيلتون) الجدار المفتوح، بعد أن استرد جهازه، ليعود الجدار فيُغلق خلفه مرة أخرى، وسار (شيلتون) فى دهليز قصير، ينتهى به إلى قاعة متوسطة المساحة، تتوسّطها مائدة رخامية مستطيلة، جلس حولها أفراد تلك المجموعة من الأشخاص، الذين حضروا منذ دقائق، وفى مواجهة المائدة الرخامية كانت هناك خيمة بلاستيكية، من ذلك النوع الذى يُستخدم فى

غرف العناية المركَزة بالمستشفيات، وإن كان البلاستيك الذى تتكون منه هذه الخيمة أشدّ غلظة، بحيث يُخفى ملامح الشخص الذى يقف وراءه، ولا يكشف سوى ظلّه فقط، وجاء صوت ذلك الشخص، من داخل الخيمة البلاستيكية، قائلًا فيما يشبه الهمس:

ـــ مستر (شيلتون).

جاء صوت مستر (شيلتون) أقلّ غطرسة هذه المرّة، وهو يقول:

ـــ آسف لتأخرى أيها الرئيس.

واستوى (شيلتون) جالسًا فوق المقعد الخالى، حول المائدة الرخامية، وهو يتوجّه بنظره نحو الخيمة البلاستيكية، على النحو الذى كان عليه الآخرون، وبدا ذلك الخيال المعتم للشخص الجالس داخلها، وهو يستطرد قائلًا:

ـــ لقد اكتمل العدد الآن.. أُعرِّفكم بنفسى.. أنا الزعيم الجديد لمنظمة (الكوبرا).. كانت الأوامر الصادرة إليكم هى التوقّف عن ممارسة نشاط المنظَمة، لفترة من الوقت، بعد الأحداث الأخيرة، التى تعرّضنا لها فى (بلجيكا)[1]، ولكننا

---

(١) راجع رواية (الثعلب والأفعى) العدد (٤٦).

عدنا لاستئناف نشاطنا من جديد، منذ عدة أشهر، بعمليتين إحداهما فى (السلفادور)، خاصة بتجارة الأسلحة، والثانية فى (مصر)، وتتعلّق بتهريب كميات من السبائك الذهبية، التى حصل عليها المصريون، من أحد المناجم فى (سيناء)، والتى أُسندت إلى عضو المنظمة رقم (١٦)، مهمة الاستيلاء عليها، وتهريبها إلى فرعنا فى (ليفربول)، ولقد تمت عملية (السلفادور) بنجاح، وحصلت المنظمة منها على ملايين الدولارات، التى ستنالون نصيبكم منها بالطبع، أما عملية (مصر) فقد منيت بالفشل، على يد ذلك الجهاز الأمنى اللعين، المسمى بالمكتب رقم (١٩)، أو إدارة العمليات الخاصة، فقد تسبّبوا فى إفساد عملنا مرة أخرى، بوساطة عميلهم الشيطانى، الذى صار بمثابة عدوّ لدود لـ(الكوبرا)، وتمكنوا من إحباط عملية التهريب فى اللحظات الأخيرة.

سأل أحد أعضاء المنظمة:

ـــ هل يعنى ذلك أنهم قد ألقوا القبض على رقم (١٦)؟

قال له الزعيم:

ـــ نعم.. ويجب أن يُعتبر ذلك من حسن طالعه.

اعترت الدهشة وجوه الجالسين لهذا القول، فى حين ظلّ

(شيلتون) جامد الملامح، دون أن يبدو على وجهه أى تعبير، وأردف زعيم المنظمة، قائلًا:

— لاتندهشوا.. فقد تبين لنا أن (إدوارد) حاول أن يخوننا، ويستولى على جزء من السبائك الذهبية لحسابه، والخيانة لدينا لها عقاب جسيم ومخيف؛ لذا فمن حسن حظه أنه وقع فى أيدى المصريين، وإذا لم يكن الإعدام هو مصيره، فلن يفلت من أيدينا عاجلًا أم آجلًا، ووقتها سوف يلقى من العذاب مايجعله يتمنى الموت، ويأسف لأن المصريين لم يعدموه، فهذا هو قانون المنظَّمة، الذى تعرفونه جميعًا.

أخرج بعضهم منديله، ليجفِّف عرقه، من جراء تلك الكلمات التى تنطوى على شىءمن التهديد والوعيد، فى حين ظلَّ (شيلتون) محتفظاً بثبات أعصابه وصلابة ملامحه، وأردف زعيم المنظَّمة، قائلًا:

— على كلّ، فنشاطنا لن يتوقّف فى المرحلة القادمة، وقريبا جدًّا سيلقى المصريون ردًّا مناسبًا على تدخّلهم المستمر فى عملنا، وليس المصريّون فقط، وإنما ستتاح لنا فى الآونة القادمة إمكانية وضع العالم بأسره تحت رحمتنا، وسوف يحدثكم مستر (شيلتون) عن هذا.

تحدث (شيلتون)، وهو يضع ساقًا فوق أخرى، قائلًا:

— لقد تمكن أحد العلماء البولنديين، من المتخصصين فى علم الحشرات، من استنباط نوع معين من الحشرات الغريبة، عن طريق تهجين الجراد الإفريقى بنوع آخر من الحشرات الآسيوية الغير معروفة، واستطاع هذا العالم أن يحصل، من وراء ذلك التهجين، على تلك الحشرة التى أطلق عليها (الوحش الطائر)، وهى تسمية تنطبق عليها بالفعل، فمائتا حشرة فقط من ذلك النوع، كفيلة بالقضاء على الآلاف من الأفدنة الزراعية، بمختلف أنواعها، خلال فترة زمنية لاتتجاوز نصف الساعة، إذ إن تلك الحشرة شرهة، على نحو يكاد يكون خارقًا للعادة، ولاتُبقى على أى شىءأخضر تمرّ عليه، وقد أراد ذلك العالم استغلال تلك الحشرة الرهيبة، لتحقيق طموحاته المادية، فتقدّم إلى أكثر من جهة، ليعرض عليها كشفه على أساس أنه يُمكن استغلاله فى مجال الحرب البيولوجية، وإذ أن إقامة مزارع لذلك النوع من الحشرات، وإطلاقها على المناطق الزراعية فى الدول المعادية، كفيل بإبادتها تمامًا، وحرمان تلك الدول من كل محاصيلها الزراعية، ولكن يبدو أن تلك الجهات، التى عرض خدماته عليها، لم تقدِّر كشفه هذا حق قدره، وقابلت عرضه بسخرية، باعتبار أنه أفَّاق، والبعض

الآخر اعتبر كشفه هذا ينطوى على شىء من الخطورة، كفيل بتهديد البشرية، وحرمان العالم من طعامه، ومن بين هذه الجهات الحكومة المصرية، التى حاول تقديم خدماته إليها، عن طريق استخدام تلك الحشرة الشرهة، ولكن المصريين سارعوا بتسليم الرجل إلى الإنتربول الدولى، ليحاكم فى بلاده، باعتباره مجرمًا خطيرًا، وعالمًا يستخدم علمه لأغراض شريرة مخيفة، وقد تمكن ذلك البولندى من الهروب من (الانتربول)، حيث تعرّض للعديد من المطاردات، فى عدد من الدول الأوربية، وعندما علمت بأمره، كلفت رجالى مساعدته على الإفلات من قبضة البوليس الدولى، وإحضاره إلى مقرّى بمدينة (مانشستر)، وعرضت عليه أن يعمل لحسابى، فأطلعنى على أسرار هذه الحشرة الرهيبة، والأضرار الفادحة التى يُمكن أن تُحدثها، وبعدها تخلّصت منه؛ حتى أدفن سره معه، لأحتفظ به لنفسى.. كنت قد عرفت كيفية الحصول على هذه الحشرة، وكيفية إنشاء مزارع خاصة لإنتاج عشرات الآلاف منها، ولكن بقيت أمامى مشكلة واحدة، وهى الطريقة المثلى لاستخدامها، وإحداث الأثر المطلوب بوساطتها، وعندما اتصلت برئاسة المنظَمة، لأخبرهم بأسرار تلك الحشرة، والمشكلة التى تعترضنى فى استغلالها، كوسيلة تهديد وابتزاز دولى، جاءنى الرّد بأن الرئيس سيتولّى حل هذه المشكلة.

تحدَّث زعيم المنظمة مرة أخرى، قائلًا:

ـــ لقد حللت هذه المشكلة بالفعل، وسيخبركم رقم (١٢) مسيو (رينوا)، الطريقة التى ساعدنى بها فى حلّها.

وتحدث (رينوا)، قائلًا:

ـــ لقد وجدنا أن الاستخدام الأمثل لهذه الحشرة، كسلاح يمكننا بوساطته تهديد الدول بإبادة مزروعاتها يكمن فى إطلاقها على المناطق الزراعية لتلك الدول، بوساطة صواريخ خاصة، متوسطة الحجم والمدى، عن طريق دول أخرى؛ لذا كنّا بحاجة إلى الحصول على نموذج لأحد هذه الصواريخ، وبوساطة رجال فى (فرنسا) و(ألمانيا)، تمكنّا من الاستيلاء على إحدى هذه النماذج التابعة لوزارة الدفاع الفرنسية، بل لقد تمكنّا من تجنيد اثنين من العلماء، أحدهما فرنسى والآخر ألمانى، لإنتاج عدد من هذه الصواريخ وتطويرها.

وتحدَّث زعيم المنظمة مرة أخرى، قائلًا:

ـــ التجارب مازالت فى مرحلتها الأولى، ولقد أقمنا مصنعًا سريًّا صغيرًا، لإعداد هذه الصواريخ، التى سيتم شحن كبسولاتها بتلك الحشرة، وتهديد العالم بإطلاقها على

مزروعاته، وسوف نبدأ بتلك الدولة، التى أحبطت العديد من عملياتنا فى الشرق الأوسط، وتحوَّلت إلى مصدر إزعاج لنا، وأعنى بها (مصر)، خاصة بعد عملية سبائك الذهب الفاشلة.

وتحدث أحدهم، قائلًا:

ــ ولكن كيف نقنعهم بأن تهديدنا لهم جدّيًا، ما دمنا فى مرحلة التجارب الأولى، لإنتاج الصواريخ متوسطة المدى.

وقال زعيم المنظّمة:

ــ لدينا الوسيلة التى ستقنعهم بذلك، وسوف تعرفون بها وقتها، كل ما أريده منكم الآن أن تسهموا فى تمويل مشروع إنتاج الصواريخ، ويجب أن تعرفوا أنكم بذلك تستثمرون أموالكم استثمارًا جيّدًا للغاية، فسوف تكون هناك العديد من الدول، المستعدة لدفع مئات الملايين من الدولارات، فى مقابل تجنّب غزو تلك الحشرة لأراضيها، وسوف تنالون نصيبكم من تلك الملايين.

أبدى الجميع استعدادهم للإسهام، برفع أيديهم إلى أعلى، إشارة بالموافقة، وعاد زعيم المنظّمة يقول:

ــ حسنا .. والآن يجب أن تعرفوا أننى قد أسندت هذه العملية لرقم (٤)، مستر (شيلتون)، تحت إشرافنا، وهو

جدير بتنفيذها كما يجب، و(مصر) ستكون نقطة البداية بالنسبة لنا، لابتزاز العالم وتهديده.

تحدث أحدهم، قائلًا:

ــ هناك شىء آخر، نريد أن نتحدث عنه أيها الرئيس.

سأله زعيم المنظمة:

ــ وما هو؟

أجابه الرجل:

ــ ذلك العميل المصرى، المدعو (ممدوح عبد الوهاب).. لقد تدخّل فى عملنا أكثر مما يجب، وأصبح يشكِّل تهديدًا واضحًا لكل عملية نقوم بها، ونحن نعتقد أنه لابد من القضاء على ذلك الرجل أوَّلًا، قبل أى شىء.

عقَّب زعيم المنظمة:

ــ إننا لم نُغفل ذلك، ولدى معلومات بأنه يقضى إجازته فى (قبرص)، ولقد أصدرت أوامرى بأن تكون هذه هى إجازته الأخيرة..

وتحدّث (شيلتون) قائلًا:

ــ على الرغم من أننى أرى أنكم تمنحون هذا الرجل قدرًا من الاهتمام، بأكثر مما يستحقه، إلا أننى، بناء على أوامر زعيم

المنظمة، سأتولى أمره.. هناك شخص يعمل لحسابى فى (قبرص)، له موهبة غير عادية فى إزهاق أرواح الآخرين؛ لذا ندعوه بـ(جاك السفاح)، نسبة إلى سفاح (لندن) الشهير، وسوف أُكلّفه تخليصكم نهائيًا من ذلك الرجل.

سأله أحدهم:

ـ هل أنت متأكد أنه سينجح فى ذلك؟

وابتسم (شيلتون) لأول مرة، قائلًا:

ـ إنه لم يخطئ مرة واحدة، فى القيام بذلك النوع من الأعمال.

وتحدث زعيم المنظمة، قائلًا:

ـ أعتقد أنه بذلك يكون الاجتماع قد انتهى، وسوف تصلكم الأوامر قريبًا، لتحديد الاجتماع القادم، فى نفس المكان، وبنفس الوسيلة، لتقييم نتائج العملية، التى يشرف عليها رقم (٤) مستر (شيلتون).. والآن انتهى الاجتماع.

نعم.. لقد انتهى الاجتماع..

وبدأ الخطر.

* * *

٣ ـ أيقونة الشر..

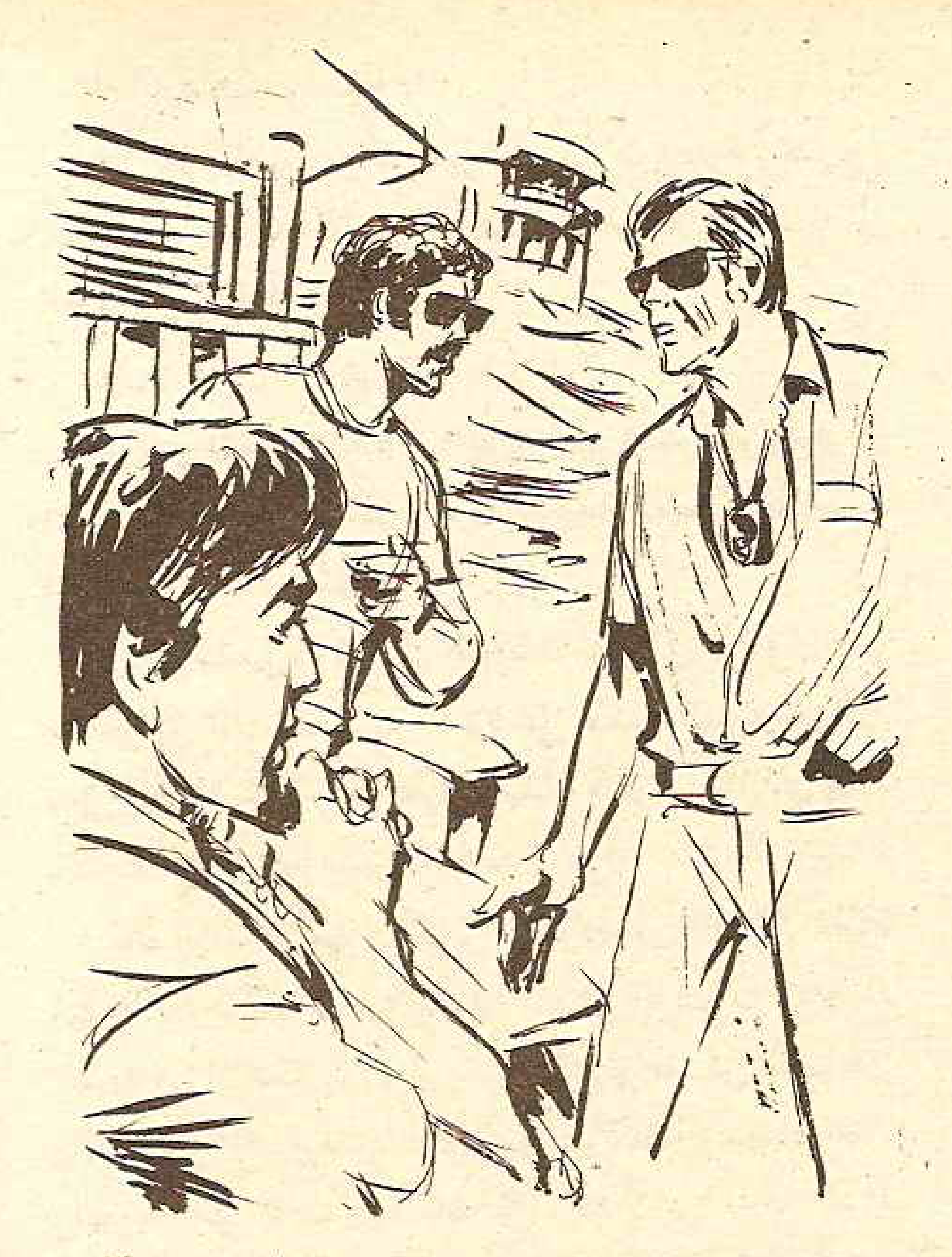
انقضت ثلاثة أيام من إجازة (ممدوح) فى (قبرص)، التى قضاها مع صديقه فى ڤيلته، التى تطل على شاطئ البحر مباشرة، وكانت بحق أيامًا ممتعة، تمتّع فيها (ممدوح) بسحر البحر والليالى القبرصية الرائعة، وبدا أن اختياره لقضاء الإجازة فى هذا المكان الخلّاب من العالم، كان اختيارًا موفقًا تمامًا..

وفى اليوم الرابع، وبينما كان (ممدوح) جالسًا مع صديقه على شاطئ البحر، وقد ارتديا ثوب السباحة، إذا بأحد الأشخاص يقترب منهما محيّيًا، وهو يمدّ يده لمصافحة صديق (ممدوح)، الذى قدّمه له، قائلًا:

ـ أعرِّفك صديقى (ممدوح عبد الوهاب)، الذى جاء ليقضى إجازته فى (قبرص)، منذ عدة أيام، وهذا مستر (جاك نيلسون)، أحد رجال الأعمال الكنديّين، وسوف يكون شريكى فى أحد المشروعات الجديدة، التى سنقيمها فى (قبرص).

ابتسم (ممدوح) محييًا، فى حين تحدث الرجل، قائلًا:
ــ جئت لقضاء بعض الوقت فى تلك البقعة الساحرة أمام الشاطئ، ولكن من المؤسف أن العمل يطاردنى دائمًا، فقد وصلنى (تلكس) عاجل من (روما)، يستدعى عودتى إلى الفندق، إلا أننى لم أشأ أن أحرم نفسى من فرصة المرور عليك، وتحيّتك قبل أن أغادر المكان.
قال له صديق (ممدوح):
ــ إنها مجاملة لطيفة منك يا عزيزى، وأرجو أن تتاح لنا الفرصة قريبا، لدراسة تفاصيل المشروع الذى تحدثنا عنه.
أجابه (جاك):
ــ قريبًا.. قريبًا جدًا.. ما رأيك فى أن نلتقى على العشاء الأسبوع القادم، بمطعم (نيقوسيا)، حيث تُتاح لنا فرصة مناقشة التفاصيل؟
ردّ عليه صديق (ممدوح)، قائلًا:
ــ لا مانع على الإطلاق.
ونظر جاك إلى (ممدوح)، قائلًا:
ــ إننى أُوجّه تلك الدعوة إلى صديقك أيضا، فأصدقاؤك أصدقائى، وأعتقد أنه لن يكون هناك حرج، فى مناقشة تلك الأشياء فى وجوده.

أجابه صديق (ممدوح):
ــ كلّا بالطبع، ولكن من المؤسف أن إجازة (ممدوح) ستنتهى مع نهاية هذا الأسبوع، حيث تضطره ظروف عمله إلى العودة إلى (القاهرة).
قال (جاك) متظاهرًا بالأسف:
ــ أمر مؤسف بالفعل، فالموائد التى تضم أكبر عدد من الأصدقاء المخلصين، تكون موائد شهية للغاية.. بالمناسبة ما عملك يا مستر (ممدوح)؟
لم يكن (ممدوح) فى تلك اللحظة، ينظر إلى الرجل، بقدر ما ينظر إلى تلك السلسلة المدلاة على صدره العارى، والتى تنتهى بأيقونة عليها رسم يعرفه جيدًا، ويعرف ما الذى يعنيه بالنسبة للأشخاص الذين يحملونه.
كان الرسم لأفعى (الكوبرا السوداء).. العلامة المميَّزة لمنظمة الكوبرا الإجرامية الدولية.. وعلى الرغم من أنه هناك العديد من الأشكال والرسومات، التى توجد على تلك الحلى والسلاسل، التى يرتديها البعض، إلا أن ذلك الرسم بالذات، والطريقة التى يُرسم بها، كان مميّزا، فضلًا عن أنه من الشاذ وغير المألوف أن يتحلى شخص ما بأيقونة عليها رسم لتلك



لم يكن (ممدوح) فى تلك اللحظة، ينظر إلى الرجل، بقدر ما ينظر إلى تلك السلسلة المدلاة على صدره العارى..

الأفعى الرهيبة، وهذا يعنى أن ذلك الرجل ينتمى لمنظمة (الكوبرا) الإجرامية..

ورفع (ممدوح) رأسه إلى الرجل، قائلًا:

ــ إننى أمارس المحاماة.

لاحظ (ممدوح) على وجه الرجل شبه ابتسامة ساخرة، وهو يقول:

ــ مهنة عظيمة، وأرباحها عظيمة أيضًا.. ما رأيك لو جعلناك محاميًا لشركتنا القادمة؟

صمت (ممدوح) برهه، قبل أن يقول:

ــ سأفكّر فى الأمر.

وقال (جاك) وهو يبدى سروره لموافقة (ممدوح):

ــ حسنًا.. إذن سنقدم موعد العشاء.. لنقل مبدئيًّا أننا سنجعله قبل عودة مستر (ممدوح) إلى (القاهرة) بليلة واحدة، حتى يكون احتفالنا مناسبًا.. ما رأيك يا مستر (ممدوح)؟

(ممدوح):

ــ لا مانع.

صافحهما (جاك)، وهو يستعد للانصراف، قائلًا لصديق (ممدوح):

ـ حسنًا .. سأتصل بك هاتفيًا ؛ لتأكيد موعد العشاء .

ثم تحوّل إلى (ممدوح) ، وعاودته تلك النظرة الساخرة ، التى لم ترق أبدًا لـ (ممدوح) ، قائلًا :

ـ تحياتى يا مستر (ممدوح) ، وأرجو أن يكون لقائنا بداية مثمرة لكلينا .

اكتفى (ممدوح) بإيماءة صغيرة من رأسه ، دون أن يُعقّب بكلمة واحدة ثم وقف يتابع (جاك) أثناء انصرافه ، وفى صحبته شخص كان ينتظره أمام شاطئ البحر ، فى حين تحدّث صديقه إليه ، قائلًا :

ـ ما هذا الذى قلته عن عملك بالمحاماة ؟.. وما مغزى موافقتك على العمل معنا بالشركة ؟

قال (ممدوح) وهو ما يزال ينظر إلى (جاك) ، فى أثناء سيره على الشاطئ :

ـ هل تعرف هذا الرجل منذ فترة طويلة ؟

أجابه الصديق :

ـ لقد تعرّفته منذ يومين فقط ، فى إحدى المناسبات ، وقدّم لى نفسه على أنه أحد كبار رجال الأعمال .

التفت إليه (ممدوح) ، قائلًا :

ـ وهل يكفى أن تتعرّف أحد الأشخاص ، خلال تلك الفترة الزمنية القصيرة ، وأن يُقدّم لك نفسه على أنه أحد كبار رجال الأعمال ، لكى تسعى لمشاركته مشروع ما ؟

ردّ عليه الصديق ، قائلًا :

ـ بالطبع لا يكفى ، ولا تعتقد أن صديقك ساذجًا ، فلابد أن يسبق الإتفاق إجراء الكثير من التحريات ، عن الموقف المالى للشخص ، وتاريخه فى مجال الأعمال ، ثم أهمية المشروع وجدواه ، وأشياء كثيرة أخرى ، وإذا كنت قد أبديت موافقة على مشاركته فى مشروع ما ، فهى مجرّد موافقة مبدئية ، نابعة من فكرة المشروع ذاته ، ومن الانطباع الذى أخذته عن الرجل ، ولكن لا تعتقد أننى سأخاطر بمالى واسمى ، دون دراسة كافية مستفيضة .

(ممدوح) :

ـ حسنًا .. وربّما كان من الأفضل أن تطرح فكرة هذه المشاركة عن ذهنك نهائيًا .

نظر إليه صديقه بدهشة ، قائلًا :

ـ لماذا ؟.. هل لديك على الرجل أى مأخذ ؟

(ممدوح) :

ـ أعتقد أن هذا الرجل يتسم بشىء من الخطورة .. الأمر الذى يجعل التعامل معه غير مأمون العواقب .

وسأله صديقه بقلق :

ـ هل تعرف عنه شيئًا ما ؟

(ممدوح) :

ـ لا .. ولكننى أعتقد أننى أعرف الكثير عن تلك الأيقونة ، التى يحملها على صدره .

ازدادت دهشة صديقه ، وهو يقول :

ـ الأيقونة ؟!.. ما الذى تعنيه ؟

(ممدوح) :

ـ لا .. لا شىء .. فقط دعنى أتولّى جانبًا من التحريات ، التى تنوى إجراءها حول هذا الشخص ، قبل أن ترتبط معه بأى شىء .

ابتسم صديقه ، قائلًا :

ـ أعتقد أن طبيعة عملك تغلب عليك ، وتجعلك تميل إلى الشكّ فى الآخرين بصفة دائمة .

ولكن (ممدوح) ، قال بجدية :

ـ لدى ما يقوّى الشكّ بالفعل ، فى هذا الرجل .

عاد التوتّر إلى وجه صديقه ، وهو يقول :

ـ ما دمت تتحدّث بهذه الجدّية ، فالأمر بالفعل يستحق القلق .. (ممدوح) أخبرنى بما لديك عن هذا الرجل ، قبل أن أتورّط معه فى أى شىء .

(ممدوح) :

ـ سأخبرك بعد أن أنتهى من تحرياتى عنه ، والتأكّد من حقيقته .. بالمناسبة .. أين يقيم ذلك الرجل ؟

أجابه صديقه ، قائلًا :

ـ فى فندق (نيقوسيا) ، القريب من الشاطئ ، على الجهة الأخرى من البحر .

(ممدوح) :

ـ حسنًا .. دعنا نعود إلى فيلتك الآن ، ولا تثير أى شىء عن (جاك نيلسون) هذا ، إلّا إذا عاود الاتصال بك مرة أخرى ، حتى أنتهى من استجلاء الحقيقة حوله .

وفى أثناء ذلك كان الرجل الذى يصحب (جاك) ، يتحدث إليه ، قائلًا :

ـ لقد كان يدقّق فى الأيقونة التى تحملها فوق صدرك .

قال (جاك) ، وعلى وجهه ابتسامة خبيثة :

— لقد لاحظت ذلك .. إن لديه الآن شكوكًا عديدة ، بشأن الجهة التى أنتمى إليها ، وأعتقد أننا سنلتقى به فى زيارة قريبة للغاية .

قال رفيقه متسائلًا :

— هل تظن أنه سيسعى إلى تفتيش غرفتك بالفندق حقًّا ؟

أجابه (جاك) بثقة:

— بل إننى متأكد من ذلك ، فأمثاله لا يستطيعون مقاومة غريزتهم البوليسية ، ويغلب عليهم دائمًا الجانب المهنى من عملهم ، وقد زوّدنى مستر (شيلتون) بمعلومات وافية عن ذلك الرجل (ممدوح عبد الوهاب) ، تجعلنى واثقًا من الخطوة التى لابد وأنه سيقدم عليها بعد تعارفنا .. المهم أن تراقب أنت مدخل الفندق ؛ للتأكد من حضوره ، واتخاذ الترتيبات اللازمة ، ويجب أن تعد حقائبنا ، وتكون مستعدًا للسفر معى إلى (أسبانيا) على الفور ، بعد أن أنتهى منه .

وفى تلك الليلة ثبت أن تخمين (جاك) كان صحيحًا إلى حدّ كبير ؛ إذ سُرعان ما ألقى زميل (جاك) تلك المجلة ، التى كان يطالعها فى ردهة الفندق ، وهو يلتفت إلى ذلك الرجل ، الذى يعبر الباب الخارجى للفندق ، مرتديًا سُترة جلدية سوداء ،

وهو يتجه صوب موظف الاستقبال بقامته الممشوقة ، وخطوته السريعة النشطة ، وتلك الابتسامة الأخّاذة على وجهه الوسيم ، والتى تجعله أبعد ما يكون عن شخصية رجل انتحارى ، وأقرب ما يكون إلى نجم سينمائى ، له العديد من المعجبات .. إنه رجل المكتب (١٩) (ممدوح عبد الوهاب) .

وسأل (ممدوح) موظف الاستقبال ، قائلًا :

— هل أجد مستر (جاك نيلسون) فى غرفته الآن ؟

أجابه موظف الاستقبال :

— مع الأسف يا سيدى .. لقد غادر مستر (نيلسون) الفندق منذ ساعتين ، وأخبرنى أنه ربما تأخر فى الحضور إلى الفندق الليلة .. هل لديك أيّة رسائل ، تحبّ أن أبلغها له .

(ممدوح) :

— لا .. شكرًا .. سأحضر لمقابلته فى وقت آخر .. أعتقد أنه ينزل بالغرفة رقم ....

وتظاهر بالتفكير ، لكن موظف الفندق قال له فى سرعة :

— رقم (٢٠٧) .. بالدور الخامس يا سيّدى .

قال (ممدوح) :

— آه .. تذكرت .. لقد أخبرنى بذلك ، ولكن يبدو أننى نسيت .

موظف الاستقبال :

ــ فى خدمتك يا سيِّدى .

تظاهر (ممدوح) بالانصراف ، ولكنه لم يلبث أن اتخذ طريقًا جانبيًّا ، متجهًا إلى أحد مصاعد الفندق ، فى طريقه إلى الدور الخامس .. وفى تلك اللحظة اقترب زميل (جاك) من موظف الاستقبال ، وعلى وجهه ابتسامة رضا ، يقدِّم له مبلغًا من المال ، قائلًا :

ــ أحسنت عملك يا عزيزى (ماتياس) .

أحنى موظف الاستقبال رأسه ، قائلًا :

ــ إننى فى خدمتك وخدمة مستر (جاك) دائمًا .

تناول زميل (جاك) التليفون ، ليتّصل به فى غرفته ، قائلًا :

ــ إنه فى طريقه إليك الآن .

ردّ عليه (جاك) ، قائلًا :

ــ حسنا .. كن مستعدًّا بسيارتك ، للتوجّه إلى المطار ، فلا أريد أن يطول بقائى فى هذا البلد ، بعد أن أقضى على ذلك الرجل ، لأكثر من ساعات معدودة .

وعندما أنهى المحادثة ، كان وجهه يحمل ابتسامة مخيفة .. ابتسامة قاتل .

* * *

٤ ـــ الصراع العنيف ..

أخذ (ممدوح) يتطلّع إلى أرقام الغرف ، حتى استقرّت عيناه على الرقم (٢٠٧) ، فتلفّت حوله فى ذلك الطابق ، الذى يضم ثلاث غرف أخرى ، غير الغرفة التى يقصدها ، ثم لم يلبث أن تناول أداة معدنية خاصة ، محاولًا فتح باب الغرفة ، وكادت محاولته تنجح ، لولا أن لمح أحد أبواب الغرف المجاورة يُفتح ، فجذب آلته المعدنية سريعًا من ثقب الباب ، وتوارى جانباً وهو يراقب خروج سيِّدة ورجل من الغرفة ، فى طريقهما إلى المصعد ، وتأكّد أن الرجل والسيِّدة لم يشعرا بوجوده ، فعاود المحاولة مرة أخرى ، وأخذ يدير تلك الآلة المعدنية عدّة مرات فى ثقب الباب ، حتى انفتح أمامه ، فاندفع داخل الغرفة ، وهو يغلق بابها خلفه ، وأضاء مصباحه اليدوى ، وهو يلقى نظرة سريعة على أرجاء الغرفة ، ليتأكّد من خلوها ، ثم أسرع يفتح الدولاب الصغير ، الموجود فى أحد أركانها ، وهو يفتش ثياب الرجل ، ولكنه لم يجد أشياءً ذات قيمة ، بين طيات الثياب ، يمكن أن تفيده بشىء ، فتناول حقيبة جلدية مغلقة من فوق أحد

أرفف الدولاب ، ليضعها على المنضدة الصغيرة الموجودة فى الغرفة ، محاولًا فتحها ، ولكنه وجد صعوبة فى ذلك ، إذ كانت الحقيبة مغلقة بأرقام سرّية تحول دون فتحها ، فتناول من جيبه جهازًا صغيرًا ، ثبّته فوق قفل الأرقام الموجود بالحقيبة ، ثم أخذ يدير تلك الأرقام بأصابعه فى سرعة ، والجهاز يسجل نقاط حمراء ، أمام كل رقم صحيح ، حتى ظهرت أمامه على شاشة الجهاز الصغير ، أربعة نقاط حمراء ، تمثل الأرقام الصحيحة لفتح الحقيبة ، فقام (ممدوح) بفتحها ، وهو يسلّط ضوء مصباحه الكهربائى على الأوراق الموجودة داخلها ، وعثر على عدد من الشيكات السياحية ، ورزمة من الأوراق النقدية ، كما وجد ثلاث جوازات سفر مختلفة ، جنسيات متنوّعة ، وأسماء مزوّرة ، وعليها صورة (جاك نيلسون) ، كما لفت نظره وجود (كارت معايده) ، كان (جاك) يستعد لإرساله إلى (أسبانيا) ، ومعه خطاب غرامى داخل مظروف ، وقرأ (ممدوح) العبارات الموجودة على ظهر (الكارت) ، وداخل الخطاب ، وقد اعتلت وجهه ابتسامة ساخرة ، فقد كانت العبارات ركيكة للغاية ، كما أنه استغرب أن يكون لشخص مثل (جاك نيلسون) هذا ، بملامحه القاسية الواضحة وتلك الأيقونة ، التى ترمز إلى انتمائه لمنظمة ذات شهرة إجرامية عريقة ، علاقة بالحب والعواطف ،

ولكن حتى فى كتاباته عن الحب والعواطف كان طابعه غالبًا ، فقد استخدم كثيرًا من كلمات التهديد والوعيد ، ممتزجة بكلمات الحبّ ، التى أرسلها لفتاته ، وكان من الواضح أنه لا يلقى قبولًا حقيقيًا من جانبها ؛ لذا فهو يريد أن يفرض عليها عواطفه بالقوة ، وباستخدام عبارات التهديد والوعيد ، التى حملها خطابه ..

وفى تلك اللحظة كان (جاك) كامنًا خلف الستار ، الذى ينسدل أمام البانيو فى حمام غرفته ، وهو يثبت ببطء وبرود القاتل المحترف الآلة الكاتمة للصوت ، فوق ماسورة مسدّسه ، استعدادًا لقتل (ممدوح) فى هدوء ، ودون ضجة ..

وسرعان ما التقطت أذنا (ممدوح) الحسّاسة المدرّبة صوت حركة الستارة داخل الحمام ، حيث بدأ (جاك) التحرك من خلفها ، فأطفأ مصباحه الضوئى ، وتقدّم صوب الحمام المغلق ، ليفتح بابه نصف فتحة ، ويلقى نظرة سريعة على الداخل ، ولكنه لم يجد شيئًا ، غير أنه لمح وهو يغلق الباب ، أنه هناك من يكمن خلفه ، ولكنه تظاهر بعدم ملاحظته لذلك ، وقام بإغلاقه ، وفى اللحظة التى تحرّك فيها (جاك) خلف الباب ، استعدادا لفتحه وإطلاق الرصاص على ظهر (ممدوح) ، اندفع

هذا الأخير يفتح الباب فجأة، وهو يدفعه إلى الوراء بقوّة، ليصطدم بوجه غريمه وجسده، مما جعله يفقد توازنه..

وهجم (ممدوح) على (جاك)، محاولًا استخلاص المسدّس منه، ولكن هذا الأخير سُرعان ما استعاد سيطرته على نفسه، وقابل (ممدوح) بلكمة قويّة دفعته إلى الوراء، وهو يصوِّب إليه مسدّسه..

وأحنى (ممدوح) رأسه سريعًا، أثناء انطلاق الرصاصة، التى أصابت المرآة المعلّقة بالحمام، لتحدث فيها ثقبًا وشرخًا كبيرًا، ثم اندفع وهو مازال منحنيًا، ليطوِّق خصر غريمه بإحدى زراعيه، فى حين امتدت ذراعه الأخرى لتطبق يده فى قوة على رُصغ (جاك)؛ ليحتفظ بيده القابضة على المسدّس فى وضع رأسى، وفوهته مصوَّبة إلى سطح الحمام، وحاول الرجل أن يستخدم قوّته فى التخلّص من (ممدوح)، ولكن (ممدوح) كان يدرك أنه لانجاة له، من موت محقّق، إلا بالاحتفاظ بالمسدّس فى ذلك الوضع الرأسى، وأنه لو تمكّن (جاك) من خفض يده بوسيلة أو بأخرى، فلن يضمن أن تخطئه الرصاصة مرة ثانية؛ لذا فقد استماتَ فى مقاومته.. وهو يحاول أن يدفعه إلى الوراء، وفى أثناء الصراع، الذى دار بين الرجلين، تمكّن

(ممدوح) من دفع خصمه ليصطدم بحافة البانيو، حيث انزلق الإثنان داخله، لتنطلق رصاصة أخرى من مسدس (جاك)، المصوَّب إلى أعلى فتصيب ماسورة (الدش)، الذى تدفّقت مياهه بغزارة، لتبلِّل ثياب الرجلين وجسديهما..

وازدادت مقاومة (جاك)، محاولًا التملّص من الذراع التى تطوِّق خصره دون جدوى، فدفع ركبته إلى أعلى فى قوة، ليضرب بها فكّ (ممدوح)، وأحدثت هذه الضربة أثرها فى (ممدوح)، فتراجع إلى الوراء، وأحسّ بألم شديد فى فكّه، فى حين نجح (جاك) فى التحرّر من الذراع الملتفة حوله، ولكن (ممدوح) بقى محتفظًا بسيطرته على يد غريمه، القابضة على المسدّس فى وضع رأسى، بإصرار المتشبث بالحياة، على الرغم من ألمه، فى حين أتاح تحرّر (جاك) من ذراع (ممدوح)، التى كانت تطوِّق خصره، قدرًا من حرية الحركة، مكّنته من أن يصوِّب ركلة أخرى بمقدَّمة حذائه إلى ساق (ممدوح)، ثم دفعه بباطن قدمه فى معدته إلى الوراء، ليخلّ بتوازنه بدوره، وتسبَّبت تلك الدفعة فى اصطدام (ممدوح) بحافة البانيو، الذى لا يزالان يتصارعان داخله، فسقط (ممدوح) على ظهره، فوق أرضية الحمام، ولكنه جذب (جاك) ليسقط معه، دون أن يتخلّى عن قبضته الملتفة حول رصغه، ولكن سُرعان ما انقلب



تمكن (ممدوح) من دفع خصمه ليصطدم بحافة البانيو، حيث انزلق الاثنان داخله، لتنطلق رصاصة أخرى من مسدّس (جاك)..

(جاك)، ليجثم فوق صدر (ممدوح)، وهو يسدّد له عدّة لكمات بقبضته اليسرى، أحسّ معها (ممدوح) بأنه فى سبيله لفقدان الوعى، وبدأت يده التى تقبض على رصغ (جاك) فى التراخى، ولكن عزيمته القوية جعلته يغالب استسلامه، فعاد يقبض على رسغ (جاك) بقوة، وهو يضرب يده القابضة على المسدّس فى حافة البانيو، عدة ضربات متوالية، غير عابئ باللكمات التى كان يصوّبها إليه غريمه، فقد حصر كل همّه فى إبعاد سلاح الموت هذا عن يد خصمه..

وبالفعل نجح (ممدوح) فى إسقاط المسدّس من يد (جاك)، الذى شعر بألم شديد من جراء ارتطام يده بحافة البانيو، فانزلق المسدّس فوق أرضية الحمام، ليبعد عنهما بمسافة متر، واستشاط (جاك) غضبًا، فهمّ بتوجيه لكمة قويّة إلى فكّ (ممدوح)، ينهى بها مقاومته، ولكن (ممدوح) تفادى هذه اللكمة بدفع رأسه جانبًا، فاصطدمت قبضة (جاك) بأرضية الحمام، فأصابه ألم شديد، وانتهز (ممدوح) الفرصة ليصوّب لكمة إلى فكّ غريمه أزاحته عنه، وجعلته يتراجع إلى الوراء، مما أتاح لـ (ممدوح) فرصة النهوض، وهو يترنّح متشبثًا بحافة البانيو، لتساعده على النهوض، ولكن لكمات (جاك) كانت لا تزال تحدث أثرها فى كيان (ممدوح)، الذى كان فى حالة

إعياء شديد، مما جعله يتهاوى على الأرض مرة أخرى، وقد جذب معه ستارة الحمام، التى تشبث بها فى أثناء نهوضه، وأتاح ذلك لـ (جاك)، الذى كان أكثر تمالكا لنفسه، بعد هذا الصراع العنيف، أن ينهض سريعًا متجها نحو المسدّس، حيث تمكّن من التقاطه من الأرض، ثم تحوّل إلى (ممدوح)، وهو يستعد لتصويبه إليه، وعلى وجهه ابتسامة الظفر، ولكن (ممدوح) سارع بإلقاء الستارة على وجه غريمه، فطاشت الرصاصة الثالثة تمر فوق رأسه، وبنفس العزيمة القويّة نفض عن نفسه الإحساس بالإعياء، وهو ينقض على (جاك)، منتهزًا فرصة محاولته التخلص من الستارة، جاذبًا إحدى قدميه لأسفل، مما جعله ينزلق على ركبتيه، فوق أرضية الحمام، ولكنه حاول مساعدة نفسه على النهوض، بعد أن ارتكز على حافة حوض المياه القريب منه، ولكن (ممدوح) لم يضع الفرصة، إذ سارع بمهاجمته مجدّدًا، وهو يلفّ إحدى ذراعيه حول عنقه، ويعود فيقبض مرة أخرى على معصم يده القابضة على المسدّس، جاعلًا فوهته فى الاتجاه المعاكس له، فوق حوض المياه..

وأخذ (جاك) يدفع مرفقه بقوة فى الضلع الأيسر لـ (ممدوح)، محاولًا التحرّر منه، وقد عاد الصراع يتجدّد بينهما بعنف، وأحسّ (ممدوح) بألم شديد فى ضلوعه، من قوة

ضربات (جاك)، الذى كان يتمتع بقوّة غير عادية، ونظر إلى مؤشر السخان فى الحمام فوجده قد بلغ أعلى درجة، وهنا رفع ذراعه عن عنق (جاك)، يمدّ يده إلى صنبور المياه الساخنة، ففتحه حتى النهاية، وهو يجذب يد (جاك)، القابضة على المسدّس، ليضعها تحت الصنبور..

وصرخ (جاك)، وقد ألهبته المياه الشديدة السخونة، التى تدفّقت على يده، مما اضطره إلى التخلى عن المسدّس، ليسقط منه فى الحوض، وما أن تمكّن (ممدوح) من إجباره على التخلى عن سلاحه، حتى جذبه إلى الوراء بعيدًا عنه، حتى لا يتيح له فرصة الحصول عليه مرّة أخرى، ثم انهال عليه باللكمات، التى أخذ (جاك) يبادله بعضها، ولكن (ممدوح) كان أكثر إصرارًا على حسم الموقف، فجاءت لكمته الأخيرة بمثابة مطرقة فولاذية، أصابت فك خصمه، فجعلت رأسه يصطدم بجوار الحمام، ليهوى على الأرض دون حراك..

ووقف (ممدوح) يلتقط أنفاسه قليلًا، ثم قام برفع (جاك) عن أرضية الحمام، ليجلسه فوق أحد المقاعد، وهو ما يزال فاقد الوعى تمامًا، ثم لم يلبث أن جذب أحد الحبال، التى تستخدم فى تحريك الستائر المسدلة حول نوافذ الغرفة، ليقيّد ذراعيه وقدميه فى المقعد الذى أجلسه عليه..

وتخلّص (ممدوح) من ملابسه المبتلّة بالمياه ، ليرتدى إحدى حلل (جاك) ، المعلّقة داخل دولابه فى الغرفة ، ثم وقف ببرود أعصاب لا مثيل له ، يسوّى شعره أمام المرآة ، قبل أن يتناول ورقة وقلمًا ، ويكتب فيها بعض الكلمات ، ثم لم يلبث أن ثبت هذه الورقة بدبوس فى سترة (جاك) ، بعد أن كتب عليها تلك العبارة : « هذا الرجل مجرم خطير ، وينتمى إلى منظمة إجرامية دولية ، ذات نفوذ واسع ، وعلى رجال الشرطة مراجعة الأمر بشأنه ، بعد اقتياده إلى أقرب نقطة بوليس » .

وأطلّ (ممدوح) برأسه خارج الغرفة ، وهو ينظر يمينًا ويسارًا ، ليتبيَّن عدم وجود أحد ، ثم تقدم بحذر نحو المصعد ، وضغط على الزر المشير إلى الصعود ، وسُرعان ما صعد المصعد إليه ، وقد انفتحت أبوابه ، ولحسن حظه كان المصعد خاليًا تمامًا .. فعمد إلى إيقافه عن العمل ، ثم سارع بالتوجّه إلى الغرفة مرة أخرى ، ليجذب المقعد الذى أجلس عليه (جاك) ، ثم دفع به داخل المصعد ، بعد أن مدّ يده داخله ، ليضغط على الزّر المشير إلى الدور السفلى ، وسارع بجذب ذراعه من داخل المصعد ، قبل أن تُغلق أبوابه ، ليستأنف طريقه فى الهبوط إلى أسفل ، وبداخله الرجل المقيّد إلى المقعد ، الغائب عن الوعى ، فى حين توجّه (ممدوح) إلى أحد الطرق الجانبية للطابق ،

ليستقلّ مصعدًا آخر ، يؤدى به إلى حديقة الفندق مباشرة ، وفى تلك اللحظة كانت هناك مجموعة من السائحين ، فى انتظار المصعد الذى كان فى طريقه إلى الدور السفلى ، وسُرعان ما ارتسمت الدهشة فى عيون البعض ، وانطلقت صرخات البعض الآخر ، عندما وجدوا المصعد يُفتح وبداخله ذلك الرجل المقيّد إلى المقعد بثيابه المبلّلة ، وآثار اللكمات الواضحة على وجهه ، وتلك الورقة المثبتة فى سترته ، والتى تُشير إلى كونه مجرمًا خطيرًا ، فى نفس اللحظة التى كان (ممدوح) يتسلل فيها عبر الحديقة ، فى طريقه إلى مغادرة الفندق ، وعلى شفتيه ابتسامة ..

ابتسامة ظافرة .





٥ ــ مهمة عاجلة ..

استقبل اللواء (مراد) (ممدوح) بمكتبه، وفى عينيه نظرات قلقة، قائلًا:

ــ ماهذه الكدمات الواضحة على وجـهك؟.. هل تشاجرت مع أحد خلال رحلتك؟

ابتسم (ممدوح)، قائلًا:

ــ كلمة مشاجرة تعد دعابة، إذا ماقورنت بتلك المعركة، التى دارت بينى وبين هذا الرجل.

سأله اللواء (مراد) بدهشة:

ــ أى رجل؟

(ممدوح):

ــ واحد من قتلة منظّمة «الكوبرا».. يبدو أنهم كانوا يعرفون أننى سأقضى إجازتى فى (قبرص)، فأرسلوا ذلك الرجل، لكى يفسد علىّ إجازتى، ولكنه على كل حال كان تدريبًا جيدًا، حتى لا أفقد لياقتى خلال الإجازة.

وعاد اللواء (مراد) يسأله باهتمام:

ــ إذن فقد دبّروا لقتلك فى (قبرص).. يبدو أنك قد صرت عدوًا لدودًا بالنسبة (للكوبرا).. أليس كذلك؟

قال (ممدوح) باستخفاف:

ــ على كل حال يبدو أننى سأزيد من كراهيتهم وعدائهم لى، فقد لقّنت عميلهم هذا درسًا لا يُنسى، وأعتقد أنهم لن يستفيدوا بخدماته لفترة طويلة، لأنه الآن فى قبضة البوليس القبرصى.

وصمت برهة ثم تابع:

ــ ولكن ما أدهشنى هو رسالتكم العاجلة لى، بقطع الإجازة والعودة إلى (القاهرة).. لم أكن أظن أن سيادتك ستستخدم العنوان الذى تركته قبل سفرى، للمكان الذى أنزل فيه فى (قبرص) بتلك السرعة.. هل تم هذا الاستدعاء العاجل بسبب معلومات وصلت إليكم، عن محاولة قتلى هناك؟

تراجع اللواء (مراد) فى مقعده قليلًا، وهو ينظر إلى الأوراق الموضوعة أمامه على المكتب، قبل أن يقول:

ــ على العكس.. لو كنت قد علمت بأمر تلك المحاولة،

لتركتك تقضى باقى إجازتك هناك ، ومنحتك يومين آخرين ، كنوع مَن التعويض والمكافأة عما تعرَّضت له ، ولكن ...

عاد اللواء (مراد) يصمت مرة أخرى ، وعلى وجهه أمارات الحيرة ، ولكن (ممدوح) استحثّه على الكلام ، قائلًا :

ـــ ولكن ماذا ؟

نظر إليه اللواء (مراد) بتمعّن ، قائلًا وهو يمطّ شفتيه :

ـــ وكذلك لم تعد تصلح للعملية التى كنت أنوى تكليفك إيّاها .

بدا هذا الكلام مستغربًا بالنسبة لـ(ممدوح) ، فهذه هى المرة الأولى التى يسمع فيها من رئيسه أنه لا يصلح للقيام بعملية ما ؛ لذا فقد عاد يسأله مستفسرًا .

ـــ لا أفهم .. ما هذه العملية ، التى لم أعد صالحًا للقيام بها .. أرجوك أن توضح لى ؟

أمسك اللواء (مراد) بالقلم الموضوع أمامه ، ليدقّ به على طرف مكتبه ، قائلًا :

ـــ لم تعد وحدك عدوًّا استراتيجيًا لمنظمة (الكوبرا) ، فقد تسببْنا فى إفساد الكثير من عملياتهم الإجرامية ، على المستوى المحلّى والدولى ، وانحلّت المنظّمة أكثر من مرة ، وتم القضاء على

اثنين من رؤسائها ، بسبب نشاط إدارتنا على وجه التحديد ، فى مطاردتهم وملاحقتهم فى جميع الأوكار ، التى كانوا يتخذون منها محلًا لممارسة أعمالهم الإجرامية ، على مستوى العالم ، وهذا جعلنا أيضًا ، وجعل مصر بصفة خاصة ، العدوّ الأول لهذه المنظمة ، التى ما أن يخمد نشاطها ، ونظن أننا قد قضينا عليها ، حتى تعود فتظهر بوجهها الإجرامى على العالم من جديد .

(ممدوح) :

ـــ لقد كانت عملية سبائك الذهب الأخيرة خير دليل على ذلك ، وقد قبضنا على واحد من أخطر رجالهم فى هذه العملية ، ولكن ما علاقة هذا بتلك المهمة ، التى كنت تنوى تكليفى إياها .

اللواء (مراد) :

ـــ إن لها صلة بمنظّمة «الكوبرا» أيضًا .

وصاح (ممدوح) :

ـــ «الكوبرا» مرة أخرى ؟!

اللواء (مراد) :

ـــ نعم .. ألم أقل لك : إننا أصبحنا عدوًّا استراتيجيًّا بالنسبة لهم .. إن تلك المنظّمة تسعى لابتزاز الحكومة المصرية ،

وتهدّدنا بإلحاق أضرار فادحة ببلادنا، لو لم نستسلم لهذا الابتزاز.

(ممدوح):

ـــ قبل أن نتحدث عن نوع هذا التهديد، وقدرتهم على تحقيقه، أريد أن أعرف من سيادتك ما الذى يجعلنى غير صالح لأداء المهمة؟

اللواء (مراد):

ـــ لأنك أصبحت معروفًا جيدًا بالنسبة لهم، وهذا سيجعلك مكشوفًا تمامًا فى عملية كهذه.. إنهم يلاحقونك ويتتبّعون خُطاك، حتى فى إجازاتك، فكيف أُرسلك إليهم بوجه عار هكذا؟.. ثانيًا: إنك بالتسبّب فى القبض على اثنين من أهم رجالهم، خلال فترة زمنية قصيرة، قد أصبحت عنصر استفزاز بالنسبة لهم، فهم لن يدّخروا وسعًا فى سبيل القضاء عليك، والتخلّص منك، بغضّ النظر عن أية عملية أخرى، وأنا حريص على ألا أفقدك.

ابتسم (ممدوح)، قائلًا:

ـــ إن لى أعداء عديدين أيضا فى المخابرات الاسترتانية، ومنظمة الأخطبوط، والقائمة لا تنتهى، فهل سأتوقّف عن

العمل، حرصًا على حياتى؟!.. سيادة اللواء.. لقد التحقت بالعمل فى هذه الإدارة، لا كضابط شرطة، ولكن كفدائى انتحارى، وأنت تعلم ذلك جيدًا. فلا مجال للخوف والتردّد، إذا ما كان الأمر يتعلّق بالأمن القومى.

أما عن كونى قد أصبحت عنصرًا استفزازيًّا، بالنسبة لهذه المنظمة الإجرامية، فهذا سيضيف لتلك المهمة المزيد من الإثارة التى أعشقها، كما لا تنسى سيادتك خبراتى السابقة، فى التعامل معهم.

قال اللواء (مراد) بحسم:

ـــ (ممدوح).. لا تأخذ الأمر بمثل هذا الاستخفاف.. إننى أريد لهذه المهمة وجهًا غير معروف، بالنسبة لتلك المنظَمة، حتى تكون لدى بعض الضمانات، بالنسبة لنجاحها وسرّيتها، ولو أن المشكلة التى تواجهنى حقيقة، هى أن الوجوه غير المعروفة ليست على المستوى المطلوب من الكفاءة، لأداء مثل هذه المهمة، وحتى لو وجدنا هذه الكفاءات، فهناك مخاوف وشكوك كثيرة حول نجاحها.. إننا فى ورطة حقيقية، فعلينا ـــ خلال عشرة أيام ـــ تبدأ من اليوم، أن نقدّم لهذه المنظَمة.. كمية الذهب التى استرددناها من عميلهم، الذى

قبضنا عليه منذ عدة أيام، بالإضافة إلى ذلك العميل نفسه، وخمسين مليون دولار أخرى، يطالبون بها كتعويض عن إحباط عملية تهريب الذهب من (مصر).

قال (ممدوح) بسخرية:

ــ انهم طموحون للغاية، بل وجشعون أيضًا.

أردف اللواء (مراد) بجدّية وانفعال:

ــ إما هذا، وإما أن نفقد جميع محاصيلنا الزراعية إلى الأبد، وتتحوَّل أراضينا إلى أرض ليس فيها نبت واحد.

بدا الاهتمام واضحًا على وجه (ممدوح) هذه المرّة، وهو يقول:

ــ ما معنى هذا؟ هل تعنى سيادتك أنهم يهدِّدون بتدمير مزروعاتنا؟

اللواء (مراد):

ــ نعم.. هذه هى الكارثة التى يهدّدون بإلحاقها بنا.

(ممدوح):

ــ وهل تعتقد أن لديهم القدرة على تحقيق ذلك؟

اللواء (مراد):

ــ من الواضح أن لديهم هذه القدرة، فقد بدءوا بصاروخ

تجريبى صغير، صوّبوه إلى إحدى مزارعنا التجريبية فى الصحراء الغربية، وبه عدد محدود من حشرة غريبة، تشبه الجراد فى شكلها، وإن كانت تختلف عنها، وبمجرّد أن استقر هذا الصاروخ التجريبى داخل المزرعة، حتى انفتحت كبسولته، لتخرج منها تلك الحشرات، فتلتهم كل محاصيل المزرعة، بل تقتلع جذورها من باطن الأرض، خلال عشرون دقيقة فقط، ولولا أن المزرعة محدودة، ومحاطة بالصحراء من كل جانب، ما أمكنا إيقاف خطر هذه الحشرة الشرهة، ومطاردتها بطائرات رش المبيدات، التى لم تقض عليها، وإن كانت قد أخمدت نشاطها.

(ممدوح):

ــ إذن فقد كان ذلك الصاروخ التجريبى، الذى أطلقوه على المزرعة بمثابة إنذار.

اللواء (مراد):

ــ نعم.. واقتصرت نتائجه على القضاء على المزرعة.. لقد كانوا يريدون أن يقدموا لنا نموذجًا صغيرًا، لما يمكن أن يفعلوه بكل ما لدينا من نبت وزرع، على مستوى الجمهورية كلها، خاصة وأن ذلك الصاروخ أُطلق من مسافة قريبة من

بلادنا ، ومن داخل إحدى السفن التى عبرت البحر المتوسط ، أما التهديد الحقيقى فيأتى من صواريخ أخرى أكبر حجمًا ، ومتوسّطة المدى ، وتحتوى كبسولاتها على الآلاف ، وربما الملايين ، من هذه الحشرة الرهيبة ، وهم يهدّدون بإطلاقها من قاعدة بعيدة مجهولة ، على مناطق مختلفة من بلادنا ، لو لم نسلّم لهم ما طلبوه خلال عشرة أيام ، وبالطريقة التى يحدّدونها لنا ، لتقضى على جميع مزروعاتنا تمامًا ، خلال ساعتين وربما أقل .

(ممدوح) :

ــ وهل يملكون ذلك النوع من الأسلحة ؟

اللواء (مراد) :

ــ لا أدرى .. ولكن الاحتمال قائم ، فضلًا عن تأكّدنا من أنهم يملكون تلك الحشرة الرهيبة ، التى يصعب مقاومتها ، ولا يمكننا المخاطرة بتجاهل تهديد كهذا ، خاصة مع معرفتنا السابقة بطرق ووسائل منظمة (الكوبرا) فى تنفيذ عملياتها الإجرامية .. لقد اتصل بى رئيس الوزراء أمس ، وأخبرنى أنه إذا لم تكن لدينا وسيلة فعالة ومؤكّدة لإحباط هذا الخطر ، الذى يتهدّد بلادنا ، فإننا سنكون مضطرين لتنفيذ الشروط والطلبات ، التى أملتها علينا المنظمة .

(ممدوح) :

ــ والوسيلة الوحيدة هى العثور على تلك القاعدة ، التى يهدّدون بإطلاق الصواريخ منها ، ثم تدميرها أو القضاء على كل من فيها ، قبل إنتهاء مهلة العشرة أيام .

اللواء (مراد) :

ــ تمامًا .. إننا نضع فى اعتبارنا أيضا .. أنه حتى إذا كانت لدينا وسائل الكشف المبكّر ، لمثل ذلك النوع من الصواريخ ، التى يهدّدونا بها ، وتدميرها قبل أن تحطّ على أراضينا ، فنحن لا نضمن تمامًا القضاء على تلك الحشرة ، ومنع تسرّبها داخل بلادنا ، أو البلاد المجاورة ، مع كل ما تمثله من خطر .

(ممدوح) :

ــ أليست لدينا أية خيوط ، يمكن أن تقودنا إلى شىء له صلة بهذه القضية ، عدا معرفتنا السابقة بمنظمة (الكوبرا) ، وبعض أعضائها .

اللواء (مراد) :

ــ فى الواقع منذ عدة سنوات لجأ إلينا أحد العلماء البولنديين ، وعرض علينا الإسهام فى برنامج للحرب الميكروبيّة ، وقدّم لنا حشرة من ذلك النوع ، يُمكن استخدامها فى ذلك النوع من

الحروب المدمرة، ولكن بما أننا أعضاء فى معاهدة دولية، لمنع استخدام ذلك النوع من الأسلحة، بعد تحريمها عالميًا، فقد رفضنا عرضه، وقمنا بتسليمه إلى (الأنتربول الدولى)، بعد أن تبيَّن لنا أنه مطلوب للمحاكمة فى بلاده، بعدها انقطعت صلتنا بذلك الشخص، وإن كان قد نما إلينا أنه أفلت من بين يدى (الأنتربول)، وفرّ إلى مكان مجهول، ولقد اعتقدنا أن لهذا الشخص صلة أكيدة بمنظمة (الكوبرا)؛ لذا طلبنا معلومات وافية وسريعة عنه، عن طريق (الأنتربول) الدولى، ولكن المعلومات التى أرسلوها إلينا أكّدت أنه لقى مصرعه، وأنهم عثروا على جثته فى أحد خزانات المياه القديمة فى (مدريد).

(ممدوح):

ــ هذا لا ينفى وجود صلة بينه وبين منظمة (الكوبرا)، إن لم يكن يؤكِّدها، فلابد أنهم استغلّوه فى الكشف عن سر تلك الحشرة الرهيبة، ثم تخلّصوا منه بعد ذلك.. هل يمكننى أن أطّلع على المعلومات الواردة عنه من (الأنتربول)؟

قدّم له اللواء (مراد) ملفًا أزرق، كان موضوعًا فوق مكتبه، قائلًا:

ــ كلها موجودة هنا.

فتح (ممدوح) الملف، ليقرأ اسم العالم البولندى (زيجوبولنسكى)، وتاريخ إلقاء القبض عليه، وتاريخه الإجرامى السابق، وبعض المعلومات والصور الواردة عنه من (بولندا)، ومن جهات أخرى، لتجميع أكبر قدر من التحريات، التى يمكن أن تساهم فى إلقاء القبض عليه، وتوقّف (ممدوح) أمام إحدى الصور، التى يحويها ملف العالم البولندى، وهو يدقّق النظر فيها، ثم قدّمها للواء (مراد)، قائلًا:

ــ من الذى يصحب (بولنسكى) فى هذه الصورة؟

قال اللواء (مراد):

ــ آه.. أنت تقصد هذه الفتاة.. إنها خطيبته، وهى فتاة أسبانية تدعى (مرجريتا)، كان يُحبّها وينوى الزواج منها، إن الملف يحتوى على معلومات بهذا الشأن.

(ممدوح):

ــ إننى لا أقصد الفتاة، بل أقصد الشخص الآخر، الذى يصاحبهما فى الصورة، والذى يقف إلى يمين (بولنسكى).

عاد اللواء (مراد) ينظر فى الصورة، ثم قال:

ــ إنه شخص مجهول الهويّة.. ربما كان صديقًا لـ(بولنسكى).

(ممدوح) :

ـــ بل إنه .. (جاك نيلسون) ، الشخص الذى أرسلته (منظمة الكوبرا) للتخلص منى فى (قبرص) ، والذى تسبّب فى إفساد الإجازة قبل استدعائى .

عاد اللواء (مراد) ينظر إلى الصورة ، فى اهتمام شديد هذه المرة ، فى حين أردف (ممدوح) :

ـــ أعتقد أن هذا يجعلنى وطيد الصلة بتلك المهمة ، فقد كان بينى وبين المستر (جاك) لقاء حار منذ أيام قليلة .

اللواء (مراد) :

ـــ وما الذى يمكن أن يضيفه إلينا هذا ؟ إننا نعرف أنه هناك صلة بين العالم البولندى ومنظمة (الكوبرا) ، و (جاك) هو أحد عملائهم كما قلت .

(ممدوح) :

ـــ يُمكننا الاتصال بالشرطة القبرصية ، لكى نتعاون معًا فى التحقيق مع (جاك) ، للحصول على أية معلومات ، قد تفيدنا فى معرفة المكان ، الذى ينوون من خلاله تنفيذ هذه العملية ، الموجّهة ضد (مصر) ، وهناك شىء آخر .. لقد قمت بتفتيش حقيبة (جاك) فى أثناء تسلّلى إلى غرفته بالفندق ..

وكشفت إنه يكنّ عاطفة قوية لتلك الفتاة ، خطيبة العالم البولندى ، وربما نشأ هذا بحكم الصلة التى ربطت بينه وبين (بولنسكى) ، عن طريق المنظمة ، ويبدو أنه انتهز فرصة موته لكى يبثّها عاطفته هذه ، بشكل حار وقوى للغاية ، كما تبيّن لى أيضا أن تلك العاطفة كانت مرفوضة من جانب الفتاة ، وأن الأمر تحوّل بينه وبينها إلى ما يشبه المطاردة ، بل أخذ شكل التهديد ، وقد ثبت لى ، من خلال (الكارت) والخطاب ، الذى كان (جاك) ينوى إرساله للفتاة ، والذى ما زال فى حوذتى ، إنها تقيم فى (أسبانيا) ، ولدى عنوانها المدوّن على الخطاب ، ويمكن أن تكون هذه الفتاة أيضا ذات فائدة بالنسبة لنا .

صمت اللواء (مراد) قليلا ، ثم قال :

ـــ حسنا .. اعطنى العنوان والمظروف ، لأكلّف رجالنا فى (أسبانيا) إجراء تحريات سريعة حول الفتاة ، وابدأ أنت فى إجراء اتصالاتك بـ (قبرص) ، للبحث عن إمكانية الحصول على بعض الاعترافات من (جاك نيلسون) ، عن طريق الشرطة القبرصية ، على أن يكون هذا فى أكبر نطاق من السرية ، ويجب أن يتم هذا خلال يومين على الأكثر ، فالوقت الممنوح لنا آخذ فى التناقص ، ونريد أن نعرف ما إذا كانت لدينا فرصة للنجاح فى تنفيذ هذه العملية أم لا ، قبل أن نبدأ فى مساومة المنظمة .

تهلَّل وجه (ممدوح) ، وهو يقول :

ــ هل يعنى هذا أننى قد أصبحت مكلّفًا هذه المهمة ؟

نظر إليه اللواء (مراد) فى صرامة ، قائلًا :

ــ وهل ترى غير هذا ؟

وبدأت المهمة .

* * *



٦ ــ قصر الرجل الغامض ..

قال (ممدوح) للواء (مراد) :

ــ لقد أجريت اتصالاتى بـ (قبرص) ، وتبيَّن لى أن الشرطة القبرصية قد أطلقت سراح (جاك) ؛ لعدم قدرتهم على إثبات شيء ضده ، كما تبيَّن أيضا أنه غادر (قبرص) فور الإفراج عنه .

أصغى إليه اللواء (مراد) باهتمام ، قائلًا :

ــ إذن لم يعد لدينا غير تلك الفتاة (مرجريتا) .. لقد وصلتنى بعض المعلومات المحدودة عنها ، ولكن قد يمكننا الاستفادة منها ، فقد تعرّفها (بولنسكى) فى (أسبانيا) ، وكانت تعمل موظفة فى إحدى الشركات الصغيرة ، ونشأت بينهما علاقة حب قصيرة ، ثم عقد خطبته عليها ، وكان ينوى الزواج منها قبل أن يلقى مصرعه ، وكان (بولنسكى) يعمل لحساب منظمة (الكوبرا) فى تلك الفترة ، وهذا مايفسر وجود (جاك) معه فى الصورة ، فربما كان مكلّفا حمايته أو مراقبته ، أو شيء من هذا القبيل .

(ممدوح):

ــ وبالطبع .. أعجبَ (جاك) بخطيبة (بولنسكى)، من خلال مصاحبته لهما، ثم تطوَّر هذا الإعجاب إلى عاطفة قوية من جانب واحد، وربما دفعته هذه العاطفة إلى التخلّص من (بولنسكى).

اللواء (مراد):

ــ أيًا كانت تلك العاطفة، التى تتحدَّث عنها، فـ(جاك) لا يستطيع أن يقدّم على ذلك الأمر بمفرده، ولابد أن يكون قد تلقّى أمرًا بذلك من قيادة المنظمة، والمعلومات التى وصلتنى تفيد بأن الفتاة تعمل الآن سكرتيرة خاصة، لرجل أعمال انجليزى معروف فى (أسبانيا)، يدعى (شيلتون)، وهى تصاحبه فى كل خطواته وأعماله.

(ممدوح):

ــ وما المعلومات المتوافرة عن هذا الرجل؟

اللواء (مراد):

ــ ليس لدينا معلومات وافية، أكثر من أنه رجل أعمال ناجح، يمارس عدّة أنشطة .. هذا عن تاريخه الحالى، لكن من الغريب أن تاريخه السابق مجهول تمامًا، ولم يستطع أىّ معرفة شىء عنه، وليس هناك ما يشير إلى ماضيه.

(ممدوح):

ــ هل تعتقد سيادتك أنه له صلة بـ(الكوبرا)؟

اللواء (مراد):

ــ ليس لدينا أى دليل على ذلك.

(ممدوح):

ــ عموما .. لم يعد لدينا وقت كاف، سأبدأ بالتعامل مع الفتاة .. إنها الخيط الوحيد فى أيدينا الآن، وأرجو أن أجد مكانًا لى، على الطائرة المتجهة إلى (مدريد) هذه الليلة.

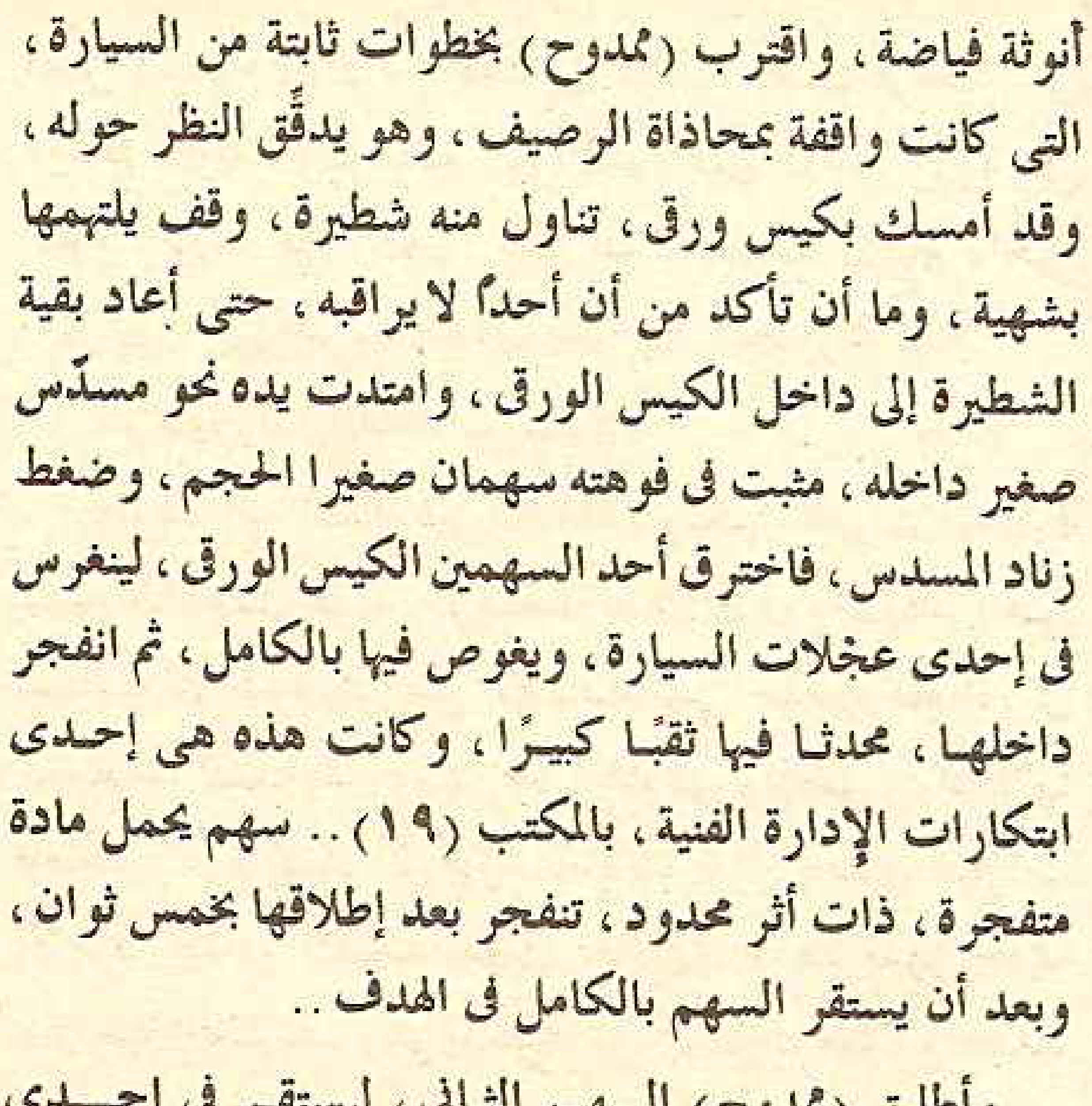
اللواء (مراد):

ــ لقد حجزنا لك مكانًا بالفعل، وتم اتخاذ كل الترتيبات اللازمة .. هيا يا (ممدوح) .. انطلق .. انطلق على بركة الله ..

* * *

وقف (ممدوح) فى ساحة ميدان (بندوليتو) فى (مدريد)، يراقب تلك الفتاة، ذات القامة الهيفاء، والقوام الممشوق، بشعرها الكستنائى، ووجهها ذى الملامح الدقيقة، الذى يجمع فى ملامحه كل جمال الشرق والغرب فى آن واحد ..

كانت الفتاة قد غادرت سيارتها المكشوفة، متجهة إلى أحد البنوك، التى تتوسَّط الميدان، وهى تخطو بخطوات تكشف عن



كانت الفتاة قد غادرت سيارتها المكشوفة ، متجهة إلى أحد البنوك التى تتوسط الميدان ..

أنوثة فياضة ، واقترب (ممدوح) بخطوات ثابتة من السيارة ، التى كانت واقفة بمحاذاة الرصيف ، وهو يدقِّق النظر حوله ، وقد أمسك بكيس ورق ، تناول منه شطيرة ، وقف يلتهمها بشهية ، وما أن تأكد من أن أحداً لا يراقبه ، حتى أعاد بقية الشطيرة إلى داخل الكيس الورق ، وامتدت يده نحو مسدّس صغير داخله ، مثبت فى فوهته سهمان صغيرا الحجم ، وضغط زناد المسدس ، فاخترق أحد السهمين الكيس الورق ، لينغرس فى إحدى عجلات السيارة ، ويغوص فيها بالكامل ، ثم انفجر داخلها ، محدثا فيها ثقبًا كبيرًا ، وكانت هذه هى إحدى ابتكارات الإدارة الفنية ، بالمكتب (١٩) .. سهم يحمل مادة متفجرة ، ذات أثر محدود ، تنفجر بعد إطلاقها بخمس ثوان ، وبعد أن يستقر السهم بالكامل فى الهدف ..

وأطلق (ممدوح) السهم الثانى ، ليستقر فى إحدى العجلات الأخرى للسيارة ، محدثاً الأثر نفسه ، ثمّ جذب المسدّس من الكيس سريعاً ، ليضعه فى جيبه ، وتحرَّك بعيداً عن السيارة ، ليقف بالقرب من إحدى التماثيل ، التى تتوسَّط الميدان ، وعيناه تراقبان البنك ، الذى دخلته الفتاة ..

وبعد قليل غادرت الفتاة البنك ، وهى تتجه نحو سيارتها ،

فغمز (ممدوح) بطرف عينيه إلى شاب، يقف مرتكزًا إلى دراجة بخارية، وهو يشير إلى الفتاة، فهزّ الشاب رأسه على الفور، دلالة على الفهم، وما أن استقرت الفتاة داخل سيارتها، حتى اقترب الشاب بدراجته البخارية، قائلًا:

ــ سنيورا .. العجلات مثقوبة.

نظرت إليه الفتاة غير مصدّقة، ولكنها غادرت السيارة ليتبيّن لها صدق قوله، فوضعت يدها فوق رأسها، وهى تتساءل فى حيرة عن سر الثقوب التى حدثت فجأة، فى عجلات السيارة، وبدا عليها التوتّر والقلق، ربما لأنها متعجّلة، ثم لم تلبث أن حاولت الإشارة إلى إحدى سيارات الأجرة، ولكن الشاب بدأ فى مغازلتها، وأخذ يدور حولها بدراجته البخارية، وهو يدعوها إلى الركوب معه، وأخذت الفتاة تصيح فى وجهه بعصبية، وهى تطلب منه الابتعاد عنها، ولكن الشاب لم يتراجع، بل استمر فى مضايقتها، وهو يدور حولها بدراجته البخارية، كلما حاولت الابتعاد عنه..

وهنا تقدم (ممدوح) نحو الشاب، قائلًا بلهجة حاسمة:

ــ أعتقد أنه يتعيَّن عليك أن تتوقّف عن مضايقة الفتاة، وتبتعد عن هذا المكان فورًا.

نظر إليه الشاب بتعالٍ، قائلًا:

ــ وما شأنك أنت بهذا؟

قال (ممدوح) بهدوء:

ــ هذه الفتاة التى تضايقها، خطيبتى، وإذا لم ترحل فورًا فسأجد نفسى مضطرًا إلى أن أدقّ عنقك، وأحطّم دراجتك هذه.

نظرت الفتاة إليه بدهشة، وهى تراه يدعوها بخطيبته، فى حين ظلّ (ممدوح) واقفا أمام الشاب، يرمقه بنظرة متحدية، وبدا أن الفتى يفكر قليلًا، ثم لم يلبث أن أدار محرّك دراجته البخارية، وامتثل لتهديد (ممدوح)، قائلًا:

ــ حسنا.. ليس لدى وقت للشجار معك الآن.

ثم انطلق بدراجته مبتعدًا، وهو ينظر إلى الفتاة، قائلًا:

ــ ولكننى لا أراه جديرًا بك على كل حال.

تحوّل (ممدوح) إلى الفتاة، وتبدّلت ملامحه المتحدية، ليرسم ابتسامة جذابة على وجهه، ولكن الفتاة لم تبادله الابتسام، بل لم يبد على وجهها أى شعور بالامتنان، وإنما قالت بعصبية واضحة:

ــ كيف؟.. كيف أمكنك أن تدعونى..؟

بقى (ممدوح) محتفظًا بابتسامته، وهو يكمل عبارتها:

ـ أن أدعوك خطيبتى.. أليس كذلك؟.. إننى أعتذر، ولكن لم تكن لدى وسيلة أخرى، من أجل التدخل لحمايتك من هذا الشاب الوقح، خاصة بعد ما رأيته على وجهك من انفعال وضيق.

ونظر إلى عجلات السيارة، قائلًا:

ـ إننى أرى عطبًا فى عجلات السيارة.. هل تحتفظين بعجلة إضافية لكى أقوم باستبدالها؟

قالت وقد سيطرت عليها حالتها العصبية؟

ـ العطب فى عجلتين كما ترى، وليس فى عجلة واحدة.

عاد (ممدوح) ينظر إلى العجلات، قائلًا:

ـ هذا صحيح.. إذن هل من خدمة يمكننى أن أقدّمها لك؟

قالت الفتاة:

ـ نعم.. يمكنك أن توقف لى إحدى سيارات الأجرة.

قال (ممدوح):

ـ ولماذا سيارة أجرة؟ لدى سيارتى، ويمكننى أن أنقلك إلى أى مكان تريدينه.

نظرت إليه الفتاة، وبدا أنها تفكر قليلًا، ثم لم تلبث أن قالت وقد لانت لهجتها بعض الشىء:

ـ ولكننى لا أريد أن أتسبَّب فى تعطيلك، فالجهة التى أنوى الذهاب إليها بعيدة عن هنا بمسافة كبيرة.

(ممدوح):

ـ وأنا خالٍ اليوم من أى عمل، وأرغب فى الذهاب إلى أى مكان بعيد عن هنا، خاصة إذا كانت برفقه فتاة لها كل هذا الجمال والسحر.

قالت الفتاة بلهجة جادّة:

ـ كما أننى لا أحب أن تتخذ من هذه الخدمة، التى ستؤديها لى، وسيلة للمغازلة.

قال (ممدوح):

ـ هذا ما لا أستطيع أن أعدك به، فأنت على قدر من الجمال لا يسع المرء إزائه، سوى أن يتغزَّل فيه مجبرًا.

ابتسمت الفتاة للمرة الأولى، وهى تهز أكتافها بدلال، قائلة:

ـ ماذا أفعل؟ سأضطر للموافقة، نظرًا للظروف التى أتعرّض لها.

اصطحبها (ممدوح) إلى سيارته، قائلًا:
ــ إلى أين؟
أجابته الفتاة:
ــ سأرشدك إلى الطريق.. فقط دعنا نغادر هذا الميدان أوّلًا.
قال (ممدوح)، وهو يدير محرِّك السيارة:
ــ تحت أمرك أيتها الحورية الجميلة.
رنت إليه الفتاة، فى أثناء قيادته، بطرف عينها، وأحسَّت نحوه بشىء من الإعجاب.. لقد بدا لها شابًا وسيمًا، له ابتسامة جذّابة، ويجيد صياغة العبارات التى ترضى غرور المرأة بلباقة وظرف، فضلًا عن شخصيته القوية، التى أقنعتها بمصاحبته، على الرغم من أنها لم تكن مضطرة لذلك، فقد كان يكفيها أن تستقل سيارة أجرة، لنقلها إلى المكان الذى تريده، دون المخاطرة بمصاحبة شخص غريب، تلتقى به للمرة الأولى، خاصة وأن التعليمات كانت تدعوها إلى الابتعاد عن مصاحبة الأغراب..
والتفت إليها (ممدوح) قائلًا:
ــ بالمناسبة.. ما اسمك؟

قالت الفتاة، وهى تحوِّل وجهها عنه، لتنظر إلى الطريق أمامها:
ــ «مرجريتا».
قال (ممدوح):
ــ اسم رائع.
قالت الفتاة، وفى صوتها نبرة تهكّمية:
ــ وما الذى يجعله اسمًا رائعًا؟
(ممدوح):
ــ لأن صاحبته رائعة.
نظرت إليه الفتاة، قائلة:
ــ هل تتحدث هكذا دائما، مع كل فتاة تلتقى بها؟
أجابها (ممدوح):
ــ كلا.. مع الجميلات منهن فقط، وأنا أعترف أنك أجمل من التقيت بهن على الإطلاق.
ضحكت الفتاة:
ــ هأنتذا قد بدأت المغازلة.
قال (ممدوح) بخبث:
ــ تذكرى إننى لم أعدك بالامتناع عن ذلك، ثم أن هذه ليست مغازلة.. كل ما فى الأمر أننى أنقل حقيقة تراها عينى.

ضحكت الفتاة مرة أخرى، قائلة:

ـــ يالك من متحذلق ماكر!

التفت إليها (ممدوح) والابتسامة على وجهه، قائلًا:

ـــ ويالك من حورية فاتنة!

نظرت الفتاة إلى الطريق أمامها باضطراب، قائلة:

ـــ من فضلك، انظر أمامك.

نظر (ممدوح) إلى الطريق أمامه، قائلًا:

ـــ آسف، ولكن من الصعب أن يركز المرء على ما أمامه، وإلى جواره كل هذا القدر من الجمال.

قالت الفتاة، وهى ما تزال مضطربة:

ـــ إذا كان الأمر كذلك، فسأضطر إلى مغادرة سيارتك.

قال (ممدوح)، وهو يصطنع التوسّل:

ـــ لا.. أرجوك.. سألتزم بالنظر أمامى، ولكن لا تحرمينى من رفقتك بهذه السرعة.

ثم أردف وهو ينظر إليها من جديد:

ـــ ولكن هذا لا يمنع من ألّا أحرم نفسى من النظر إليك، من آن إلى آخر.. أليس كذلك؟

قالت الفتاة فى فزع:

خُذْ حذرك.

أدار (ممدوح) عجلة القيادة إلى الجهة اليسرى ليتفادى سيارة مسرعة، مقبلة من الناحية العكسية..

والواقع أن (ممدوح) كان مسيطرًا تمامًا على القيادة، ومراقبة الطريق أمامه، ولكنه كان يسعى إلى مغازلة الفتاة، على هذا النحو البهلوانى، حتى يمكنه الوصول إلى هدفه، بعد أن يوطد صلته بها، ولقد التزم الصمت بعض الوقت، وهو يقود السيارة، فعادت الفتاة إليه، قائلة:

ـــ يبدو من ملامحك أنك شرقى.

(ممدوح):

ـــ ملاحظتك فى محلّها.. فأنا لبنانى.

سألته:

ـــ وما اسمك؟

(ممدوح):

ـــ (نبيل).. (نبيل فوزى).

وعادت تسأله:

ـــ وهل جئت إلى (أسبانيا) للسياحة؟

(ممدوح):

ـ بل للعمل، فأنا أمتلك مكتبًا للاستيراد والتصدير، ولقد جئت إلى (أسبانيا) للتعاقد على شراء بعض المنتجات الأسبانية.

قالت الفتاة:

ـ هذا يتيح لك التنقّل بين العديد من بلدان العالم.

(ممدوح):

ـ وأنت ماذا تعملين؟

أجابته الفتاة:

ـ إننى سكرتيرة خاصة، لرجل أعمال مشهور، يُدعى (شيلتون) له أكثر من شركة فى بلدان (أوربا) ومن بينها (أسبانيا).

قال (ممدوح):

ـ لابد أنه محظوظ؛ لأن لديه سكرتيرة فاتنة مثلك، إننى أعتقد أننا متجهان إليه.. أليسَ كذلك؟

أجابته الفتاة:

ـ نعم.. إنه يقيم فى ذلك القصر المطل على البحر، فى نهاية الطريق، ومن الأفضل أن تنزلنى هنا.

سألها بدهشة:

ـ ولماذا لا أوصلك إلى القصر، بدلًا من أن تسيرى كل هذه المسافة على قدميك؟

قالت بقلق وإصرار:

ـ بل أفضّل أن تُنزلنى هنا.

أوقف (ممدوح) السيارة، قائلًا:

ـ كما تريدين.. ولو أنى لا أرى مبررًا لذلك.

قالت الفتاة، وهى تهمّ بمغادرة السيارة:

ـ إننى لن أستطيع أن أقدّم لك كل التبريرات التى تريدها، وعلى كلٍ أعتقد أن هناك عيون ترقبنى من داخل هذا القصر، ولابد أنهم سيرسلون سيارة لاستقبالى فى منتصف الطريق.

قال (ممدوح)، وهو ينظر إلى القصر:

ـ يا له من شخص غامض، ذلك الذى تعملين معه، والذى يمتلك هذا القصر، الذى لا يسمحون للسيارات الغريبة بالاقتراب منه!

وقالت الفتاة، وهى تغلق باب السيارة:

ـ لقد سعدت بمعرفتك يا سنيور (نبيل).. وداعًا.

(ممدوح):

ــ أرجو أن نلتقى قريبًا .

قالت الفتاة بلهجة واثقة :

ــ لا أعتقد أن هذا سيحدث .

ولوّح لها (ممدوح) بيده ، قائلًا :

ــ من يدرى ما الذى يرتبه لنا القدر ؟

وبقى جالسًا فى سيارته ، وهو يراقب الفتاة فى أثناء سيرها متجهة إلى القصر ، وفى أعماقه دوى ناقوس ..

ناقوس الخطر .

* * *



٧ ــ العقاب ..

فى تلك اللحظة كان (شيلتون) يتنقّل فى حديقة قصره ، وهو يفحص بعض النباتات والزهور ، التى تم زرعها حديثًا ، بعد إحضار شتلاتها من (هولندا) و (فرنسا) ، وقال للبستانى الذى يصاحبه ، وعلى وجهه تلك الملامح الصارمة المتعالية التى تميّزه :

ــ لماذا لم تستأصل هذه الحشائش ؟.. لقد طلبت منك اقتلاعها من أحواض الزهور ، منذ عدة أيام .. أليس كذلك ؟

أجابه البستانى :

ــ هذه الحشائش تحتاج إلى معالجة خاصة ، حتى لا تؤثر على التربة .

قال (شيلتون) بحدّة ، لا تقل عن حدّة ملامحه :

ــ لا تهمنى الوسيلة ، المهم أن تنفذ ما أطلبه منك بحذافيره ، فقد كان عليك أن تدبر الوسيلة اللازمة ، أيًّا كانت ، لاقتلاع تلك الحشائش من الأحواض .

اعتذر البستانى، وقد أخافته لهجة (شيلتون):

— آسف يا سيِّدى.. سأنفذ ما طلبته فى الحال.

ولكن (شيلتون) قال فى حسم:

— لن تنفذ أى شيء؛ لأنك منذ الآن أصبحت مفصولًا.

قال الرجل متوسِّلًا:

— ولكن يا سيِّدى....

قاطعه (شيلتون)، قائلًا:

— أوامرى يجب أن تُنفَّذ من أول مرة، فليس لدى دائمًا مرة ثانية.

عاد الرجل يتوسَّل، قائلًا:

— الرحمة يا سيِّدى!

ولكن (شيلتون) لم يستجب لتوسّلاته، بل فرقع إصبعيه، فظهر فى الحال شخصان ضخما الجثة، وكأنهما جاءا من باطن الأرض، وجذبا البستانى بعيدًا عن (شيلتون)، وقال أحدهما:

— هيا أيها الرجل.. لم يعد لك بقاء هنا.

واقترب شخص ثالث من (شيلتون)، قائلًا:

— (جاك) هنا، وهو يرغب فى مقابلتك.

انتفض (شيلتون) غضبًا، وهو يقول:

— هذا الغبى؟!.. ما الذى جاء به إلى هنا؟.

جاء (جاك) فى صحبة الشخصين اللذين أبعدا البستانى، فحدجه (شيلتون) بعينين تقدحان شررًا، وهو يقول:

— هل بلغت بك الجرأة أن تخالف تعليماتى، وتأتى إلىَّ فى هذا القصر؟

قال له (جاك) فى رجاء:

— معذرة يا مستر (شيلتون)، ولكن الأمر....

قاطعه (شيلتون):

— ألم يكفك ما حقَّقته من فشل، فى تنفيذ عملية (قبرص)؟

قال (جاك) متلعثمًا:

— هذا.. هذا هو ما دعانى إلى الحضور.. لقد أمرت بإبعادى عن المنظمة، وأنت تعرف أننى لا أستطيع أن أحيا بعيدًا عنها.

قال (شيلتون) بحدة:

— لقد ألحقتك بالمنظمة، بناء على ترشيحى لك، فأنت تعمل لحسابى أوّلًا، قبل أن تعمل لحساب المنظمة، وكنت أراهن عليك.. لقد تحدثت أمام كبار رجال (الكوبرا)، وأمام

الرئيس نفسه ، عن مدى ثقتى فى قدراتك ، وعلى أنك ستُنهى أمر ذلك الرجل المدعو (ممدوح) ، ولكنك خيَّبت أملى فيك ، وجعلت ذلك الرجل يحوّلك إلى أضحوكة .

(جاك) :

ـــ ولكن يا مستر (شيلتون) ، لقد نفّذت من قبل العديد من العمليات الناجحة ، التى كلّفتها ، وهذا هو الفشل الأول بالنسبة لى .

قال (شيلتون) ، وهو يعقد ذراعيه خلف ظهره :

ـــ الفشل الأول ؟.. هو الفشل الأخير بالنسبة لى ، فلا مجال للفشل ، لمن يعمل لحساب (الكوبرا) .. ولقد أفهمتك هذا منذ الوهلة الأولى ، فضلًا عن تحذيرى السابق لك من ملاحقة (مرجريتا) ، على الرغم من أنك تعرف أنها سكرتيرتى الخاصة ، وأننى لن أسمح لك بعلاقة وثيقة معها ، ولكنك مع هذا استمررت فى مطاردتك لها ، وفرض نفسك عليها ، ضارباً بتحذيرى لك عرض الحائط ، وهأنتذا ترتكب غلطة أخرى لا تغتفر ، بحضورك إلىَّ فى هذا المكان ، مع ما يحيط بك من شبهات ..

لقد ارتكبت العديد من الأخطاء يا (جاك) ، وآن لك أن تدفع ثمنها .

قال (جاك) متوسّلًا :

ـــ أرجوك يا مستر (شيلتون) ، أعطنى فرصة أخرى .

قال (شيلتون) ، وقد اكتست ملامحه بقسوة زائدة :

ـــ فرصتك الوحيدة هى أن تُسرع بمغادرة ذلك المكان ، وتتجه على الفور إلى المطار ، لتأخذ أوّل طائرة تغادر (أسبانيا) ، قبل أن تثير غضبى ، وإلا ضاعت فرصتك إلى الأبد .

نظر (جاك) إلى (شيلتون) بخوف ، وقد أدرك المعنى الذى ينطوى على تحذيره هذه المرة ، فأخذ يتراجع بظهره إلى الوراء ، وفى عينيه نظرة ذعر ، تتنافى مع شهرته كقاتل محترف ، ولكن (شيلتون) استوقفه قائلًا :

ـــ انتظر .. هل معك سيارتك ؟

ازدرد (جاك) لعابه ، قائلًا :

ـــ نعم .

(شيلتون) :

ـــ سيصحبك اثنان من رجالى ، حتى يتأكّدا من مغادرتك (أسبانيا) بنفسيهما ويبلغانى بذلك ، فلا أريد أن تقضى هذه الليلة فى (مدريد) .

وقبل أن يحاول (جاك) أن يقول شيئًا ، عاد (شيلتون) يفرقع بأصابعه ، ليظهر له مرة أخرى هذان الماردان ، فقال لهما :

ــ ستصحبان مستر (جاك) فى سيارته إلى المطار ، لتحجزا له على أول طائرة تغادر (مدريد) ، ثم تنتظراه حتى تتأكدا من إقلاع الطائرة وهو داخلها ، وبعد ذلك تعودا لإبلاغى بذلك .

قال أحدهما ، وهو ينظر إلى (شيلتون) نظرة ذات مغزى :

ــ تحت أمرك يا مستر (شيلتون) .

بدا (جاك) مترددًا فى مغادرة القصر ، وعاد يقول لـ (شيلتون) :

ــ ألا يمكننى الحصول على فرصة أخرى يا مستر (شيلتون) ؟

ولكن (شيلتون) ، قال وهو يدير ظهره :

ــ وداعا يا (جاك) .

أمسك الرجلان بمرفقى (جاك) ، وهما يصطحبانه إلى الخارج ، فى حين عاد (شيلتون) إلى حجرة مكتبه ، ليجد (مرجريتا) فى انتظاره ..

أما (ممدوح) فكان لا يزال جالسًا فى سيارته ، عندما لمح



أمسك الرجلان بمرفقى (جاك) ، وهما يصطحبانه إلى الخارج ، فى حين عاد (شيلتون) إلى حجرة مكتبه ، ليجد (مرجريتا) فى انتظاره ..

تلك السيارة، وهى تغادر القصر ، فألقى نظرة سريعة على الأشخاص الثلاثة داخل السيارة، التى مرقت إلى جواره، بدا له للوهلة الأولى، أنه يعرف أحدهم، ثم لم يلبث أن هتف، وهو يضرب براحته عجلة القيادة:

ـ نعم.. إنه هو.. لقد كان ذلك الرجل الجالس على عجلة القيادة هو (جاك نيلسون).. إذن فهناك علاقة مؤكّدة بين منظمة (الكوبرا)، وذلك الرجل المدعو (شيلتون)..

وأدار (ممدوح) محرّك السيارة سريعًا، وهو يستدير بها إلى الاتجاه العكسى، محاولًا اللحاق بالسيارة، وبعد نصف الساعة من انطلاق سيارة (جاك)، فوق ذلك الطريق الأسفلتى الضيق، الذى يطل على سلسلة من الوديان الجبلية الخضراء، تحدّث الرجل الجالس فى المقعد الخلفى، قائلًا لـ(جاك):

ـ رحلتك تنتهى هنا يا مستر (جاك).

وقبل أن يتبيّن (جاك) حقيقة الأمر، انهال عليه الرجل الجالس فى المقعد الخلفى بضربة قويّة من قضيب حديدى، أصاب بها عنقه، وكانت الضربة فنية وقويّة فى آن واحد، بحيث فقد (جاك) على أثرها وعيه سريعًا، لتسقط رأسه على عجلة القيادة دون حراك، وعلى الفور امتدت يد الرجل الآخر

لتقبض على عجلة القيادة، ليسيطر عليها، وتمكن من إيقاف السيارة بالقرب من حافة جبلية مرتفعة، وكان (ممدوح) قد لمح السيارة، على مسافة غير بعيدة، فسارع بإخفاء سيارته وراء أحد المنحنيات الجبلية، واندفع يتسلّق مرتفع جبلى، بالقرب من المنحنى، وهو يتطلّع إلى السيارة الواقفة، بواسطة منظار مقرّب، وأدهشه أن يرى الرجلين، وهما يغادران السيارة دون (جاك)، الذى كان لا يزال فاقد الوعى، ثم قام أحدهما بإدارة محرك السيارة فى حين كان الآخر يشارك فى دفعها من الخلف، نحو المنحدر الجبلى..

وقبل أن يحاول (ممدوح) التدخل، كانت السيارة قد اندفعت من فوق المنحدر الجبلى، لتهوى إلى أسفل، فى حين وقف الرجلان يراقبان سقوطها فى القاع، ثم انفجارها، وسرعان ما لحقت سيارة أخرى بالرجلين، لتقلّهما عائدة إلى قصر (شيلتون)، بعد أن تخلّصا من (جاك)..

عندئذ أدرك (ممدوح) هويّة خصمه..

إنه الشيطان..

الشيطان نفسه.

* * *

٨ ـ لقاء الشيطان ..

كان الحفل، الذى أقامه (شيلتون) فى قصره، يضم عددًا من رجال الأعمال البارزين، وقد أحاطه بمظاهر البذخ والترف، الذى يدل على أنه من كبار الأثرياء، وكانت (مرجريتا) تستعد لمغادرة سيارتها، فى طريقها إلى القصر، بعد أن انتهى عملها فى الشركة الأسبانية، التى يمتلكها (شيلتون)، عندما سمعت صفيرًا خافتًا، يأتيها من وراء الأشجار المحيطة بالقصر، فالتفتت إلى مصدر الصفير، لتجد (ممدوح) واقفًا وراء إحدى الأشجار، وهو يلوّح لها، واعتراها شىء من الاضطراب، وهى تقترب منه قائلة:

ـ أنت ؟!.. كيف جرؤت على أن تأتى إلى هنا ؟

قال (ممدوح) هامسًا:

ـ ماذا أفعل ؟.. لقد سلبتنى عقلى، عندما وجدت نفسى غير قادر على الابتعاد عنك، قرّرت المجئ إلى هنا فربما رأيتك ؟

قالت بغضب:

ـ ألا تدرى أية حماقة ترتكب ؟ يجب أن تعرف شيئًا .. هذا المكان لا يصلح لذلك النوع من المزاح السخيف.

ابتسم (ممدوح) قائلًا:

ـ وهل تعتقدين أننى أمزح ؟.. حقيقة يا (مرجريتا).. لقد أحسست برغبة جارفة تدفعنى لرؤيتك مرة أخرى .. ألم أقل لك إننا ربما التقينا قريبًا.

قالت متبرِّمة:

ـ حسناً .. ها أنتذا قد رأيتنى، والآن يجب أن تغادر ذلك المكان.

قال (ممدوح) محتجًا:

ـ لماذا يا حوريتى الجميلة ؟ إننى أرى حفلًا كبيرًا، مقاماً فى هذا القصر، الذى يمتلكه رئيسك، وكما ترين فإننى أرتدى ملابس السهرة كاملة، فلماذا لا تدعيننى إلى هذه الحفلة، حتى أحظى بالقرب منك ؟

قالت بضيق:

ـ لأننى لست المضيفة، وصاحب القصر يبغض الأغراب.

قال (ممدوح) بإلحاح:

— وهل سيلحظنى، وسط هذا الحشد من المدعوين؟

نظرت (مرجريتا) بخوف إلى أحد الأشخاص، الذى كان يقف بالقرب من بوابة القصر يراقبها، ولاحظ (ممدوح) نظرات الخوف، التى أطلّت من عينيها، وهى تنظر فى اتجاه ذلك الشخص، ولكنه لم يعلّق، بل استمر فى إلحاحه، قائلًا:

— هيا يا حوريتى.. ضعى ذراعك فى ذراعى، واصحبينى إلى الداخل، فمعك لا أظن أننى سأكون بحاجة إلى دعوة.. بالمناسبة من المدعوّون إلى هذا الحفل.

قالت وملامحها تنطق بالقلق:

— إنهم مجموعة من رجال الأعمال.

ابتسم قائلًا:

— حسنا.. إننى أيضا من رجال الأعمال.. هل نسيت ذلك؟.. ربما أمكننى التعاقد على إحدى الصفقات، مع وجود هذه المجموعة من زملاء المهنة.

قالت بتبرّم:

— زملاء المهنة؟!.. هل تعرف حجم الأعمال التى يتعامل فيها هؤلاء.. إنها ملايين وربّما مليارات؟

حكّ (ممدوح) رأسه بأظفاره، قائلًا:

— عموما إننى أقترب من المليون الأول بخطًا جيدة.

ضربت (مرجريتا) على ساقيها بيديها، دلالة على الاستسلام، وهى تقول:

— لا أدرى ما الذى جعلنى التقى بك أمس؟

قال (ممدوح) مبتسمًا:

— حظّك السعيد.. وحظّى أيضا، إذ لا تتاح للمرء الفرصة دائمًا، لكى يلتقى بكل هذا الجمال، الذى فتنتنى به.

وقال لها بجدية هذه المرة:

— على كل حال.. لقد قلت لك الحقيقة، وهى أننى أردت رؤيتك بالفعل، ولكن إذا كان وجودى سيسبب لك شيئًا من الحرج والضيق، فيمكننى أن أعود من حيث أتيت.

قالت وقد تأثرت بعض الشىء لكلماته الجادة:

— وما الفائدة؟ لقد شاهدوك معى.

اصطنع (ممدوح) الدهشة، قائلًا:

— من الذين شاهدونى؟ وماذا تقصدين بذلك؟

أجابته، قائلة:

— أشخاص كلّفهم (شيلتون) مراقبة كل الذين يعملون معه، ونقل أخبارهم وأخبار من يلتقون بهم، بكل دقة، إليه.

ابتسم (ممدوح)، قائلًا:

ــ تعنين جواسيس.. وماذا فى ذلك؟ أن رجل أعمال كبير، كالذى تعملين معه، لابد وأن يتأكّد دائما من أن الذين يعملون معه يستحقون ثقته، خاصة إذا كانوا ممن يطلعون على أسراره، وخاصة إذا كان له منافسون كثيرون فى سوق رجال الأعمال، إن معظمهم يفعل ذلك.

بدا شيء من عدم الاقتناع على وجهها، وهى تقول:

ــ لست أدرى.. إن (شيلتون) رجل أعمال، له ثقله ومشاريعه الكبيرة بالفعل، ولكن أحيانا يخيّل إلىَّ أن وراءه شيئًا غامضًا، وأنه ليس مجرَّد رجل أعمال.

قال (ممدوح) باهتمام:

ــ ماذا تعنين؟

هزَّت (مرجريتا) رأسها سريعا، وكأنها تنفض عن نفسها هذا التفكير، وقالت وهى تتأبَّط ذراعه:

ــ لا.. لا شيء.. هيا بنا إلى الداخل، ولكن كن حذرًا فى تعاملك مع الآخرين.

(ممدوح):

ــ أعدك بذلك.

وتناول (ممدوح) أحد أكواب العصير، وهو يتنقل فى أرجاء حديقة القصر، حيث التف المدعوون حول حوض السباحة، القريب من الحديقة، اختار لنفسه موقعًا، وقف يراقب من خلاله (شيلتون)، وهو يتحدّث إلى مجموعة من رجال الأعمال، الذين كانوا مستغرقين فى حديث جاد معه، وكان (ممدوح) قد اطلع على صورة حديثة لـ (شيلتون)، بمجرَّد وصوله إلى (مدريد)، عن طريق السفارة المصرية، ولكنه بدا أكثر حدة وصرامة من الصورة، فلم تبدر منه ابتسامة مجاملة واحدة أثناء الحديث، بل بدا متجهّمًا أغلب الوقت، بعينيه الحادتين كعينى صقر، ووجهه الصارم الملامح، ولمح (ممدوح) (مرجريتا)، وهى تقترب منه، وتقف على بعد خطوات من المجموعة التى يشاركها الحديث، وعلى الرغم من رؤيته للفتاة، وقد وقفت فى انتظاره، إلا أنه استمرّ فى حديثه، مع الأشخاص الملتفّين حوله لمدة دقيقتين، دون أن يعبأ بها، ثم لم يلبث أن استأذنهم فى الانصراف، وتقدّم بخطوات متمهّلة نحوها، دون أن تتبدّل ملامح وجهه المتجهّمة، بادرته الفتاة قائلة:

ــ جاءت عدة تلكسات من (لندن) و(روما)، بخصوص فرع الشركة هناك.

قال وهو ينفخ دخان سيجاره ، دون أن ينظر إليها :

ــ هل من بينها شيء هام؟

أجابته الفتاة :

ــ فرع الشركة فى (لندن) يطلب سرعة إرسال التمويل اللازم للمشروع ، المزعم إقامته فى (انجلترا) .. على كل حال كل التلكسات الواردة وضعتها فى أحد الملفات ، وهو جاهز للعرض غدًا ، بمجرَّد حضورك إلى الشركة .

وصمتت برهة ، ثم قالت :

ــ ولكن ورد من بينها تلكس غريب بعض الشيء .

التفت إليها (شيلتون) ، قائلًا :

ــ كيف ؟

أجابته قائلة :

ــ إنه يتحدث عن إرسال تقرير سريع ، حول العملية الزراعية ، ولا أعتقد أن شركتنا تمارس أى نشاط يتعلق بعمليات زراعية .

بدا الاهتمام على وجه (شيلتون) للمرة الأولى ، وهو يقول بحدّة :

ــ ولماذا لم تحضرى هذا التلكس معك ؟

نظرت إليه الفتاة باستغراب ، قائلة :

ــ لم أكن أدرى أن له كل هذه الأهمية ، فلم أعتد إحضار تلك الأوراق الخاصة بالعمل ، فى مثل تلك الحفلات الخاصة .

أخفى الرجل اهتمامه سريعًا ، وهو يقول محاولًا إخفاء حدة نبرات صوته :

ــ حسنًا .. والآن كما هو معتاد ، كونى قريبة منى دائمًا ، حتى ينتهى ذلك الحفل اللعين ، فقد أحتاجك فى بعض الأعمال المتعلقة بشركتنا ، ويمكنك بالطبع الاستمتاع بمباهج الحفل ، ومراقصة الآخرين ، ولكن حاولى أن تكونى قريبة منى ، عندما أحتاج إليك .

أجابته (مرجريتا) :

ــ حسنا .. يا مستر (شيلتون) ، سأكون جاهزة إذا ، احتجتنى فى أى وقت .

وهمت الفتاة بالابتعاد عن المكان ، بعد أن أولاها (شيلتون) ظهره ، استعدادًا للترحيب بأحد الأشخاص ، ولكنه عاد يستدير فى اتجاهها ، وهو يستوقفها ، قائلًا :

ــ بالمناسبة .. من ذلك الرجل ، الذى قام بتوصيلك بالقرب من القصر أمس ؟

بدا على الفتاة بعض الارتباك ، ولكنها سُرعان ما تمالكت نفسها ، وهى تقول :

ـــ إنه رجل أعمال لبنانى ، يدعى (نبيل فوزى) .. لقد تعطّلت سيارتى أمس نتيجة عطب أصاب عجلاتها ، فعرض أن يوصلنى بسيارته ، ولكننى لم أسمح له بالاقتراب من القصر .

حدجها (شيلتون) بنظرات ثاقبة ، وهو يقول :

ـــ ومع ذلك فقد جاء إلى القصر هذه الليلة ، وسمحت له بمصاحبتك ، للمشاركة فى الحفل .

قالت الفتاة بارتباك :

ـــ لقد أبدى نحوى بعض الإعجاب ، وألحّ على أن أدعوه إلى ذلك الحفل ، فلم أجد بدًا من ..

وفجأة توقفت عن متابعة حديثها ، وقالت بعصبيّة :

ـــ مستر (شيلتون) .. ألن يتوقّف رجالك عن متابعة كل خطوة أخطوها ؟.. لقد ضقت ذرعًا بكل ذلك ، فمن حقى أن تكون لى حياتى الخاصة ، ما دامت بعيدة عن دائرة العمل .

قال (شيلتون) بهدوء ، يتنافى مع حدة ملامحه :

ـــ بالطبع يا عزيزتى (مرجريتا) ، فأنا لا أريد أن أحرمك من حياتك الخاصة ، ولكننى أعتقد أنه من الواجب عليك أن

تستأذنينى أولًا ، قبل أن تصحبى أصدقائك إلى قصرى ، وفى حفل كهذا .. أليس كذلك ؟

أطرقت رأسها ، قائلة :

ـــ أنا آسفة .. كان من الواجب أن أفعل ذلك حقًا .. على كل حال ، لو أردت أن أصرفه ، فـ ...

ولكنه قاطعها ، قائلًا :

ـــ مطلقًا .. قد أكون فظًا بعض الشىء ، ولكننى لا أقبل تصرفًا خاليًا من اللياقة كهذا .. يمكنك ....

وفى تلك اللحظة اقترب (ممدوح) منهما ، قائلًا للفتاة :

ـــ (مرجريتا) .. هل تسمحين لى بهذه الرقصة ؟

ارتبكت الفتاة قليلًا ، وهى تشير إلى (شيلتون) ، قائلة :

ـــ أقدم لك سنيور (شيلتون) ، صاحب هذا القصر ، ورئيسى فى العمل ؟

مدّ (ممدوح) يده لمصافحة (شيلتون) ، قائلًا :

ـــ فرصة سعيدة للغاية يا مستر (شيلتون) ، وآسف لإقحام نفسى على سهرتك هكذا ، دون دعوة مسبقة ، ولكن فى الحقيقة من كثرة ما سمعته عنك من (مرجريتا) تمنيت لو أُتيحت لى الفرصة لتعرّفك شخصيًا .

صافحه (شيلتون) قائلًا :

ــ وأنا أيضا سعيد للقائى بك يا مستر ....

أكملت الفتاة التعارف ، قائلة :

ــ (نبيل فوزى) .. رجل أعمال لبنانى ، ويسعى لإجراء بعض الصفقات فى (أسبانيا) .

هزّ (شيلتون) رأسه ، قائلًا :

ــ يسعدنى لقاؤك يا مستر (نبيل) .. كن على راحتك تمامًا ، فليس هناك ما يدعوك للحرج ؛ لأن أصدقاء (مرجريتا) .. هم أصدقائى أيضا .

أمسك (ممدوح) مرفق (مرجريتا) ، قائلًا :

ــ والآن يا مستر (شيلتون) ، هل تسمح لى بمراقصة (مرجريتا) ، قبل أن تتوقَّف الموسيقى ؟

(شيلتون) :

ــ بالطبع .. بالطبع تفضّلا ، ولكن أرجو أن نلتقى ثانية بعد انتهاء الرقص ، لأن لى معك حديثًا قصيرًا يا سنيور (نبيل) ، ربما كان فاتحة خير فى التعامل بيننا .

(ممدوح) :

ــ إنه لكرم بالغ منك يا مستر (شيلتون) .

وجذب (ممدوح) الفتاة إلى ساحة الرقص ، وهى فى حالة من الارتباك والقلق ، من نظرات (شيلتون) الثاقبة ، فى حين اتجه (شيلتون) إلى الموائد ، المصطفة فى حديقة القصر ، لتشكّل دعوة مفتوحة ، عامرة بأفخر أنواع الطعام ، ليتناول أحد الأطباق ، وينتقى لنفسه بعض أنواع الأطعمة المتعددة .. وفى تلك اللحظة اقترب منه أحد الأشخاص ، بعد أن أخذ لنفسه طبقًا آخر ، ووقف يختار لنفسه بعض أنواع الأطعمة أيضًا ، وخاطبه (شيلتون) ، دون أن ينظر إليه مباشرة :

ــ ذلك الرجل ، الذى يراقص (مرجريتا) .. أريد أن تعرف كل شىء عنه .. إنه يدّعى أنه رجل أعمال لبنانى ، يدعى (نبيل فوزى) .. أريدك أن تتحرى عن ذلك أولًا ، لأننى أظن أنه كاذب .

قال ذلك الشخص ، وهو يملأ طبقه من أنواع الأطعمة المتعدّدة ، دون أن يحاول الالتفات إلى (شيلتون) ، أو إبداء بعض الاهتمام .

ــ لست بحاجة إلى إجراء تحريات عنه ، وظنك فى محله ، فهو لا يدعى (نبيل فوزى) ، ولا يمت بصلة لرجال الأعمال .. تأمّله جيدًا ، إنه (ممدوح عبد الوهاب) ، عميل المكتب رقم



أدار ظهره للمائدة ، وهو يدقّق النظر فى (ممدوح) ، الذى كان يراقص سكرتيرته ، فى هذه اللحظة ..

(١٩) ، والشخص الذى فشلت محاولاتنا المتعدّدة فى التخلّص منه .

توقف (شيلتون) عن تناول أية أطعمة أخرى ، لدى سماعه ذلك ، ثم أدار ظهره للمائدة ، وهو يدقّق النظر فى (ممدوح) ، الذى كان يراقص سكرتيرته ، فى هذه اللحظة ، ثم قال :

ـــ نعم .. كنت أقول لنفسى : متى رأيت هذا الشخص من قبل ؟

ونظر إليه الرجل ، قائلًا :

ـــ لقد اطلعت على صورته بطريقة عابرة ، فى أثناء اجتماع المنظمة الأخير ، لأنك كنت تظن أن أمره قد أصبح منتهيًا على يد (جاك) .

(شيلتون) :

ـــ وهل بلغت به السذاجة ....؟

ولكن الرجل قاطعه ، قائلًا :

ـــ إنه ليس ساذجًا ، بل انه متوقّد الذكاء ، وربما كان عيبه الوحيد أنه جرىء أكثر من اللازم ، فهو لا يظن أنك لم تتعرّفه ، بل أعتقد أنه واثق من أنك تعرف حقيقة شخصيته جيدًا .

(شيلتو ن) :

ــ هل يعنى هذا أنه جاء إلى هنا متحدّيًا ؟

أجابه الرجل :

ــ لا أعرف .. ولكن لابد أن له هدفًا ، من تقديم نفسه إلينا بهذه الطريقة المكشوفة .

(شيلتو ن) :

ــ و (مرجريتا) .

أجابه ، قائلًا :

ــ لا أعتقدُ أنها تعرف شيئًا عن حقيقته .

(شيلتو ن) :

ــ على كل حال فهذه هى أحد أخطائها التى لا تُغتفر .

رد عليه الرجل ، قائلًا :

ــ المهم .. أن هذا يعنى أن المصريين قد رفضوا إنذارنا ، وأنهم قرّروا الاعتماد على بطلهم المغوار ؛ لذا يتعيّن أن نثبت هم مدى جدية تهديدنا . وإننا لم نكن نهزل ، كما يجب أن نحسم الأمر بالنسبة لتدخلات ذلك الرجل ، وأن نعيده إليهم جثة هامدة هذه المرة .

قالها و كأنه يصدر حكمًا حاسمًا ..

حكمًا بالإعدام .

* * *

٩ ــ حقائق خطيرة ..

قالت الفتاة وهى تراقص ، (ممدوح) :

ــ لقد سألنى عنك :

سألها (ممدوح) :

ــ وماذا قلت له ؟

أجابته قائلة :

ــ قلت له الحقيقة .. ولكننى أحسست بحرج بالغ .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا بمرح :

ــ اذن فقد قلت له إنك أحببتنى منذ الوهلة الأولى .

ابتسمت قائلة :

ــ هل تأخذ الأمور هكذا دائماً ، باستخفاف وجرأة ؟

نظر إليها ، قائلًا بجدية :

ــ صدقينى يا (مرجريتا) .. إننى معجب بك للغاية .

خفضت الفتاة بصرها ، قائلة بصوت خافت :

ــ رغم الحرج الذى سببّته لى ، فإننى لا أستطيع أن أنكر أننى أيضاً أشعر بشىء من الإعجاب نحوك .

(ممدوح) :
ـــ إننى سعيد لسماعى هذا .
وفى تلك اللحظة توقَّفت الموسيقــى عن العــزف ، فاصطحب (ممدوح) (مرجريتا) لمغادرة ساحة الرقص ، لكن سرعان ما عزفت الموسيقى من جديد ، عندما كان (شيلتون) وأحد أصدقائه يقتربان من (ممدوح) والفتاة ، وقال (شيلتون) لـ (مرجريتا) :
ـــ (مرجريتا) ، إن مسيو (ديجيه) يرغب فى مراقصتك ، إذا ماسمح صديقك .
(ممدوح) :
ـــ بكل سرور .
أحنى (ديجيه) رأسه للفتاة ، وهو يتناول يدها ، ليصحبها إلى ساحة الرقص ، فى حين جلس (شيلتـــون) إلى جوار (ممدوح) ، قائلًا :
ـــ أى أنواع الأعمال تمارس ؟
(ممدوح) :
ـــ لدى مكتب للتصدير والاستيراد ، وأنوى التعاقد على استيراد بعض المنتجات الأسبانية ، كبداية لممارسة بعض الأعمال الأخرى .

(شيلتون) :
ـــ من الأفضل أن يكون لك فرع لمكتبك هنـــا ، فى (أسبانيا) ، حتى يُسهِّل لك الأمور .
(ممدوح) :
ـــ إننى أفكر فى ذلك جديًّا .
(شيلتون) :
ـــ فى عالم رجال الأعمال ، يجب أن يكون التنفيذ ملاحقًا للتفكير ، حتى لا تفقد الفرصة .. إننى أمتلك فيللا أنيقة ، تطل على مرتفع (توريادو) ، على بعد عشرة كيلو مترات من هنا ، وهى ما زالت فى مراحلها الأخيرة من التشطيب ، فإن كنت ترغب فى شرائها ، لتحويلها إلى فرع لمكتبك ، أو مسكنًا لك ، كلما فكَّرت فى الحضور إلى (أسبانيا) ، فتأكَّد أننى سأجرى لك تخفيضًا مناسبًا ، لأجل خاطر (مرجريتا) ، ولما يمكن أن يكون بيننا من أعمال فى المستقبل .
(ممدوح) :
ـــ اننى أرحِّب بذلك بالطبع .
(شيلتون) :
ـــ حسنا .. إذن فلتذهب إلى الفيلا غدًا ، لتأخذ فكـرة

عنها ، وعن الموقع ، وستجد وكيلى فى انتظارك ؛ للاتفاق معك ، إذا ما لاقت منك قبولًا .

وأشار بأصابعه إلى أحد الأشخاص ، فحضر إليه على الفور ، وقال هو :

ــ أعط مستر (نبيل) عنوان (الفيلا) فى (توريادو) .

ثم التفت إلى (ممدوح) قائلًا :

ــ أرجو أن يكون هذا بداية طيبة للتعامل بيننا يا مستر (نبيل) .

وأحسّ (ممدوح) فى نطق (شيلتون) لاسمه الزائف ، بنبرة ساخرة ، ولكنه ابتسم له ، قائلًا :

ــ أرجو ذلك يا مستر (شيلتون) .

وانصرفا فى صمت ..

وتحفز ..

* * *

استيقظ (ممدوح) فى الفجر على صوت طرقات خفيفة على باب غرفته ، بالفندق الذى ينزل به ، فأسرع يتناول مسدسه من تحت الوسادة ، وهو يقف خلف الباب ، حيث فتحه سريعًا ، دون أن يضئ الغرفة ، وما أن أطلّت رأس أحد

الأشخاص داخل الغرفة ، حتى جذبه (ممدوح) إلى الداخل ، وهو يصوّب إليه مسدّسه ، وتحول إليه الرجل ، قائلًا :

ــ مقدِّم (ممدوح) .. أنا (بدر) .. هل نسيت موعدى معك الليلة ؟

ألقى (ممدوح) المسدَّس فوق الفراش ، وهو يضئ الغرفة ، قائلًا :

ــ آسف يا (بدر) .. لقد استغرقنى النوم ، ونسيت تمامًا .

ودعاه إلى الجلوس ، قائلًا :

ــ هل نفّذت ما طلبته منك ؟

قدم له (بدر) مجموعة من الصور ، قائلًا :

ــ هذه عدة صور ، من زوايا مختلفة للفيلا ، والمكان المحيط بها .

جلس (ممدوح) يتأمَّل مجموعة الصور بدقة ، ثم لم يلبث أن قال :

ــ إذن فهذه هى فيلا (شيلتون) .. إنها مقامة فوق مرتفع صخرى حاد .

قال (بدر) :

ــ لقد بذلت مجهودًا كبيرًا ، لالتقاط هذه الصور ، دون

أن يشعر بى أحد ، وباستخدام عدسات مختلفة ، فهناك شخصان مسلحان ، يتوليان حراستها بصرامة .

(ممدوح) :

ـــ حسنا .. أعتقد أن (شيلتون) يعرف كل شىء عنى ، وأنه سيدبِّر للتخلص منى فى هذا المكان ؛ لذا يجب أن أكون مستعدًّا لجميع الاحتمالات .. المهم أن أمنح الفتاة فرصة ، لكى تكتشف حقيقة أمره ، حتى يمكن إقناعها بالعمل لحسابنا .

قال (بدر) :

ـــ هل تحب أن أتصل بها ؟

(ممدوح) :

ـــ لا ... سأتولى أنا هذا الأمر .

وخفق قلبه فى غموض ..

* * *

استقلت (مرجريتا) سيارتها فى الصباح الباكر ، وألقت نظرة سريعة على مرآة السيارة الداخلية ، لتتأكَّد من زينتها ، ولكنها سرعان ما شهقت ، وهى تلمح وجه (ممدوح) فى المرآة ، جالسا فى المقعد الخلفى ، وهو يقول :

ـــ صباح الخير يا (مرجريتا) .

التفتت إليه الفتاة ، قائلة :

ـــ أنت مرة أخرى ؟ كيف تسلَّلت إلى سيارتى على هذا النحو ؟

ولكن (ممدوح) ، قال لها بهدوء :

ـــ تابعى الطريق أمامك ، وتصرَّفى على نحو طبيعى .

(مرجريتا) :

ـــ إنك شخص غامض وغريب للغاية .. هل أنت معتاد على مفاجأة الآخرين ، على هذا النحو دائمًا ؟

(ممدوح) :

ـــ أريد أن تصغى إلى .

(مرجريتا) :

ـــ بل أصغى أنت إلىّ .. من أنت ؟.. لقد أخبرنى مستر (شيلتون) بعض الأشياء الغريبة حولك ، بعد انصرافك من قصره أمس ، قال لى : إن (نبيل فوزى) ليس إسمك الحقيقى ، وأنه علم أنك أفَّاق ، واعتدت ارتكاب جرائم نصب متعدِّدة ، تحت أسماء زائفة ومختلفة ؛ ولهذا طلب منى أن أقطع علاقتى بك ، وأن أبعدك عن تفكيرى تمامًا .

(ممدوح) :

وهل صدّقته ؟

(مرجريتا) :

ـــ وما الذى يجعله يقول ذلك ؟ على كل حال كلاكما يتميّز بالغموض ، وإن كنت أتمنى ألا تكون هذه حقيقتك ؛ لأننى كما أخبرتك بالأمس ، أكنّ لك قدرًا كبيرًا من الإعجاب والثقة .

(ممدوح) :

ـــ وهذا هو ما أحتاجه بالضبط منك .. الثقة .. هل يمكنك أن توقفى السيارة ، لنتحدّث قليلًا ؟

أوقفت (مرجريتا) السيارة ، فاصطحبها (ممدوح) إلى (كافتيريا) صغيرة ، ليتناول معها الشاى ، قائلًا لها ، وفى عينيه نظرة جادة وصادقة هذه المرة :

ـــ (مرجريتا) .. أريد أن تثقى فى .. وأن تنفّذى ما أطلبه منك .

سألته قائلة :

ـــ أخبرنى أوّلًا ، هل الإسم الذّى ذكرته حقيقى ؟.. ، وهل تعمل فى الاستيراد والتصدير كما أخبرتنى ؟

(ممدوح) :

ـــ بل إسمى الحقيقى (ممدوح عبد الوهاب) ، ضابط فى جهاز أمن مصرى ، يدعى إدارة العمليات الخاصة .

تراجعت الفتاة برأسها إلى الوراء ، وهى تنظر إليه فى دهشة ، ثم لم تلبث أن عادت للسيطرة على حواسها ، قائلة :

ـــ ولماذا أنكرت هذه الحقيقة عنى ؟.. وما الذى دفعك إلى ملاحقتى على هذا النحو ؟

(ممدوح) :

ـــ لأنك تعملين مع رجل غامض وخطير ، كما قلت من قبل ، وهذا هو كل ما أستطيع أن أقوله لك الآن .

ظلّت تحت تأثير دهشتها ، وهى تقول :

ـــ إذن فقد كان ذلك العطب ، الذى أصاب سيارتى ، ولقاؤك المفاجئ لى فى القصر وهنا ، وحديثك المنمّق عن إعجابك بى .. كل ذلك كان مدبّرًا .

(ممدوح) :

ـــ نعم كل ذلك كان مدبّرًا ، فيما عدا أننى لا أنكر إعجابى بك بالفعل ، وكل ما ذكرته لك ، تعبيرًا عن هذا الإعجاب ، كان حقيقيًا .

قالت بانفعال :

ـــ كفاك كذبًا .

(ممدوح) :

— لقد طلبت منك أن تثقى بى منذ البداية، وإن كنت تكنين لى حقًا قدرًا من الإعجاب والتقدير، يجب أن تنفذى ما سوف أطلبه منك دون مناقشة.

سألته، قائلة:

— وما الذى تريده منى؟

(ممدوح):

— ستعودين الآن إلى منزلك مرة أخرى، حيث تجدين أمام المنزل سيارة (رينو) حمراء، برقم (٣٥٨٨٧)، وستكون مفاتيح السيارة بالداخل، كما ستجدين أيضا داخلها بعض الملابس (الرجالى)، حلّة وقميصًا، ورباط عنق، ومنظارًا أسود، وقبعة.. وعليك أن ترتدى هذه الثياب، وأن تستبدلى سيارتك بتلك السيارة الحمراء، ثم تنتظريننى بها، فى الموعد والمكان الذين سأحدّدهما لك اليوم.

نظرت إليه باستنكار، قائلة:

— وهل تنتظر منى أن أفعل كل هذا؟

(ممدوح):

— نعم.

(مرجريتا):

— وما شأنى أنا بكل تلك الأشياء الغريبة، التى تتحدّث عنها؟.. إننى مجرّد سكرتيرة لرجل أعمال ناجح، وأمارس عملى فى حدود ذلك الاختصاص، ولا شأن لى بأى شىء آخر، من تلك الأمور الغامضة، التى تحاول أن تزجّ بى فيها.

تناول (ممدوح) صورة من جيبه، ليقدّمها لها، قائلًا:

— حتى لو عرفت أن ذلك الرجل، الذى تعملين لحسابه، هو الذى تسبّب فى مقتل خطيبك السابق؟

وحدّقت (مرجريتا) فى الصورة، قائلة:

— إنها صورتى مع (بولنسكى).. من أين حصلت على هذه الصورة؟ وما هذا الذى تقوله؟

(ممدوح):

— (شيلتون) هذا مجرم خطير للغاية، وليس مجرّد رجل أعمال كما يبدو لك، وهو لا يعرف الرحمة، إذا ما تعرّضت مصالحه للخطر، أو إذا أحسّ بأن حياة أحد الأشخاص قد تتعارض مع هذه المصالح؛ لذا فهو لم يتردّد فى التخلّص من خطيبك، بعد أن قام باستغلاله لحسابه، كما لم يتردّد أيضا فى التخلص من (چاك نيلسون)، بعد أن انتهى دوره بالنسبة له.

قالت (مرجريتا)، وهى تبدو ذاهلة:

ـ هل يمكن أن يكون (شيلتون) مجرمًا إلى هذا الحد؟..
لا.. لايمكن أن يكون هو الذى قتل (بولنسكى).... و (جاك) أيضا.

(ممدوح):

ـ وهو يدبر لقتلى أيضا، بعد عدّة ساعات، فى فيلته القائمة على مرتفع (توريادو)، بعد أن عرف حقيقة أمرى.

(مرجريتا):

ـ ولكن لماذا يرتكب تلك الأعمال الإجرامية؟

(ممدوح):

ـ لأنه ينتمى إلى منظمة إجرامية دولية، تُدعى (الكوبرا)، وهى تستولى على الملايين، عن طريق عمليات إجرامية خطيرة، على مستوى العالم.

هزَّت (مرجريتا) رأسها رافضة، وهى تقول:

ـ لا أستطيع أن أصدّق ذلك.

(ممدوح):

ـ سأجعلك تصدّقين لو نفذت ما طلبته منك، وجئت إلى المكان والوقت، الذين سأحددهما لك، بالقرب من مرتفع (توريادو).. عندئذ ستعرفين من هو (شيلتون)..

لم تناقشه (مرجريتا)، وإن حملت عيناها ما يدور فى كل خلية من خلايا جسدها..

الفزع.

* * *



١٠ ـــ مصيدة الجحيم ..

قاد (ممدوح) سيارته ، فى طريقه إلى الفيلا التى حدَّدها له (شيلتون) ، ولديه ذلك الإحساس بالخطر الذى يتهدّده ، ولكنه لم يكن قادرًا على تحديد اللحظة ، التى سيتعرَّض خلالها لهذا الخطر ، وهل ستقع أثناء توجّهه إلى الفيلا ، وفى الطريق المؤدى إليها ، أم بعد وصوله إلى هناك مباشرة ، أم بعد انصرافه منها ؟ ..

من المؤكد أن (شيلتون) يتميز بالذكاء ، وأنه حريص على إبعاد أية شبهات عنه ، وعن المظهر الذى يتخذه لنفسه كرجل أعمال ؛ لذا فهو سيدبِّر لموتى بطريقة تبعده عن الشبهات تمامًا ..

هذا هو ما كان يفكِّر فيه (ممدوح) ، عندما توقَّفت سيارته أمام مدخل الفيلا ، حيث وجد شخصًا طويل القامة ، أسمر اللون ، له شعر أسود طويل لامع ، يستقبله مرحّبًا ، وهو يقول :

ـــ لابد أنك السيد (نبيل فوزى) .

صافحه (ممدوح) ، وهو يهز رأسه مؤمّنا على كلامه ، وقال له الرجل ، وهو يصحبه إلى داخل الڤيلا :

ـــ إننى أدعى (برنادو) ، وكيل أعمال سنيور (شيلتون) ، وقد كلّفنى استقبالك .. والآن هل تحب أن ترى الڤيلا ، أم تتناول مشروبًا مثلّجًا ، أولاً ؟

(ممدوح) :

ـــ أفضل أن ننتهى أوّلًا من فحص الڤيلا .

أخذ الرجل ينتقل مع (ممدوح) ، من غرفة إلى أخرى ، وهو يشرح له مزايا كل منها .. كان الجزء الشرقى من الڤيلا يطلّ على مساحة خضراء واسعة ، تتصل نهايتها بطريق عمومى واسع ، أما الجزء الغربى ، فكان يطّل على مرتفع صخرى حادّ ، ينحدر إلى طريق أسفلتى ضيق ، حركة المرور فيه بطيئة ، لا تتجاوز بضع سيارات محدودة للغاية ..

ودخل (ممدوح) إحدى غرف الڤيلا الواسعة ؛ ليلقى نظرة من خلال نافذتها الزجاجية على المنحدر الصخرى ، الذى تطلّ عليه الغرفة ، وفجأة أحسّ أن الرجل الذى كان يصحبه لمشاهدة الڤيلا قد انسحب من الغرفة سريعًا ، فاستدار بحركة



لدهشته الشديدة وجد حائطاً من الصلب ينزلق من حافة الباب العلوية، ليغلقه تماماً، ويحل محلّ الباب الزجاجى..

تلقائية، وهو ينظره فى اتجاه باب الغرفة، الذى كان زجاجيًا أيضا، ولكن لدهشته الشديدة وجد حائطًا من الصلب ينزلق من حافة الباب العلوية، ليغلقه تمامًا، ويحل محلّ الباب الزجاجى، ويسد مدخل الغرفة. وقبل أن يفيق من دهشته، سمع حركة أخرى تأتى من خلفه، فاستدار ليجد نفس الشئ يحدث للنافذة الزجاجية الوحيدة فى الغرفة، حيث حلّت محلها نافذة فولاذية، سدّت منفذ التهوية الوحيد فى الغرفة، التى أصبحت مظلمة تمامًا، ليصبح (ممدوح) كالفأر فى المصيدة..

وعلى الرغم من أن (ممدوح) يعد نفسه لمجابهة خطر يتهدد حياته بالفعل، إلا أنه تجمّد لحظات أمام المفاجأة، قبل أن يتقدم ليفحص الباب الفولاذى والنافذة الصلبة.. وكان من الواضح أنهم أغلقوا عليه الحجرة بجدران من الصلب القوى للغاية، حتى يحولوا بينه وبين التفكير فى أية محاولة للهرب؛ لذا كان عليه أن يصرف النظر عن التفكير فى محاولة التغلّب على هذه الجدران الفولاذية..

وبعد قليل بدأ (ممدوح) يحسّ بشيء من الحرارة يسرى إلى جسده، وأخذ جبينه يتصبّب عرقًا، وفجأة سمع صوت (شيلتون)، يتردّد داخل الغرفة التى سُجِنَ فيها، قائلًا:

ـــ ما رأيك فى هذه المصيدة، التى دخلتها بقدميك يا عزيزى؟ كانت جرأة غبية منك أن تأتى إلى قصرى، بهذه الطريقة المكشوفة، محاولاً التدخل فى عملى، ويبدو أن بعض النجاح الذى حققته، مع أغبياء سابقين فى المنظمة، قد أغراك بتكرار نفس الشىء معى، دون أن تعرف حقيقة قوّة خصمك، وسوف تدفع ثمن غرورك وغبائك، فعمّا قليل ستزداد درجة حرارة هذه الغرفة تدريجيًا، وعَبْر مضخّات خفية ستتسلّل إليك درجات حرارية مرتفعة، حتى تصل إلى تسعون درجة مئوية، وبعدها ستجد أن جدران الصلب التى أغلقناها عليك قد توهّجت من شدّة الحرارة، وبعدها أيضا سيبدأ جسدك فى الاحتراق شيئا فشيئا، لتتحوّل فى النهاية إلى كتلة من الشواء، وستجد أن كل هذا سيتم خلال فترة زمنية لاتتجاوز نصف الساعة.. نهاية مؤسفة، ولكنك تستحقها تمامًا؛ فمن كان مثلك لايستحق أن يموت ميتة عادية.. وداعًا ياسيادة المقدّم..

واختفى الصوت المتردّد داخل الحجرة، مع ازدياد درجة الحرارة، حتى اضطر (ممدوح) إلى نزع سترته، وقد تبلّل قميصه وجبينه بالعرق، وقرّر التصرف على الفور، فقام بتمزيق البطانة الداخلية لسترته، قائلاً لنفسه:

ـــ إذا كان الصلب سيقف عائقًا أمامنا، فإن قوالب الطوب لن تكون كذلك.

وتناول (ممدوح) ثلاث أصابع من الديناميت، وحبل بلاستيكى طويل، كان مدسوسًا داخل بطانة السترة بطريقة خفيّة، وأحس بضعف حركته، نتيجة ارتفاع معدّل الحرارة، وبدأ يشعر بجفاف حلقه، ولكنه تحامل على نفسه، ليثبت أصابع الديناميت بشرائط لاصقة على شكل دائرى، فوق الجدار المجاور للنافذة الفولاذية، ثم تناول قداحته ليشعل فتائل الديناميت القصيرة، وهو يبتعد سريعا إلى الركن القصىّ من الغرفة، وقد وضع ساعديه فوق أذنه..

كان قد بدأ يلهث من شدة الحرارة، التى أحسّ لسْعتها، وأخذ يدعو الله أن يمكّنه من الفرار من هذا الجحيم. وسرعان ما استجاب الله لدعائه، إذ انفجرت أصابع الديناميت مخلّفة فجوة كبيرة فى الجدار، تطل على المرتفع الصخرى الحادّ، وكان على (ممدوح)، ألا يضيّع الوقت، فاندفع سريعًا نحو الفجوة، مثبتا الخطّاف المعلّق فى نهاية الحبل، فى الجزء الذى لم يتهدّم بعد من الجدار، بعد أن تأكّد من قوته، وقدرته على تحمّله، ثم استخدم الحبل فى الهبوط فوق المنحدر الصخرى، محاولاً الوصول إلى الطريق الأسفلتى أسفله..

ولم تكن المهمة سهلة، إذ كان المنحدر يتألف من آلاف الكتل الصخرية الحادَّة المدَّببة، التى تعترض هبوطه، وفجأة مرقت رصاصة من أمام وجهه تمامًا، مفتّتة إحدى الكتل الصخرية، ونظر (ممدوح) فى الاتجاه الذى تأتى منه الرصاصة، ليجد اثنين من أتباع (شيلتون)، وقد أمسك كل منهما بمسدّسه، وهما يسعيان لمطاردته فوق المنحدر الصخرى، ولم يكن ذلك بالعسير عليهما، فقد بدا وهو معلق بهذا الحبل، هدفًا مكشوفًا، وسهل القضاء عليه بالنسبة لمطارديه، خاصة بعد أن مرَّت الرصاصة الثانية فوق رأسه، بما لا يزيد عن سنتيمتر واحد.

وعلى الرغم من شدة المخاطرة، إلَّا أنه لم يتردَّد، إذ تخلّى عن الحبل، وقفز فوق المنحدر الصخرى، لينزلق فوقه، وقد أعملت عشرات الكتل الصخرية المدبَّبة أثرها فى جسده. وتحامل على نفسه؛ ليرتكز على إحدى ركبتيه، محتمياً بكتلة صخرية كبيرة، وقد أصبح جسده مثخنا بالجراح، وتلطّخ قميصه بالدماء، ولكن، قبل أن ينجح حتى فى التقاط أنفاسه، كانت رصاصتان أخريان قد صوِّبتا فى اتجاهه، لتفتت، بعض أجزاء من الكتلة الصخرية، التى يحتمى بها، فتناول مسدّسه سريعًا، وهو يلقى نظرة على موقع مطارديه، حتى يستطيع

التعامل معهما، ولكنه لم يتمكَّن من رؤية أحدهما. فقد كان من الواضح أنهما يحتميان مثله بكتلتين ضخمتين من الصخر، وإن كانا فى موقعهما المرتفع بالنسبة له، يتميزان عنه بالمقدرة على كشفه، وإصابته فى اللحظة المناسبة..

وقرّر (ممدوح) أن يلجأ إلى الحيلة، فتناول سترته، بعد أن نزعها عن جسده مرة أخرى، وطواها ككتلة واحدة.. ثم رفعها إلى أعلى، لتبرز فوق الكتلة الصخرية، وعيناه تراقبان الجهة الأخرى من المرتفع الصخرى فوقه، ونجحت الحيلة، إذ برز أحدهما من وراء الكتلة الصخرية التى يحتمى بها، ليطلق الرصاص على السترة، ظنًا منه أنها (ممدوح)، فتمكَّن (ممدوح) من رؤيته، ليصوِّب إليه رصاصة محكمة، انزلق على أثرها فوق المنحدر الصخرى، ليهوى إلى أسفل، وانتهز (ممدوح) الفرصة، ليكسب بضعة أمتار، فأخذ يزحف على بطنه محاولًا الهبوط، ولكن سرعان ما انطلقت إحدى الرصاصات نحوه، من خصمه الآخر، لتحول بينه وبين مواصلة طريقه، فكمن وراء إحدى الصخور الأخرى، محاولًا الحصول على ثغرة لاصطياد غريمه، ولكن هذا الأخير بدا أكثر حذرا بعد موت زميله..

وفى تلك اللحظة لمح (ممدوح)، على بعد خطوات منه، مسدس الرجل الذى قتله، وقرر أن يلجأ إلى مخاطرة قد تكلّفه حياته، فى سبيل التخلّص من هذا المأزق، الذى وجد نفسه فيه. فأفرغ الرصاصات المتبقّية من مسدسه، ليضعها فى جيبه، ثم ضغط الزناد متظاهرا بالتصويب نحو خصمه، ليسمعه صوت المسدّس فارغا..

وانطلقت ضحكة مطارده عالية، من وراء إحدى الصخور، وهو يقول:

ــ حسنا أيها الرجل.. إنها النهاية كما ترى، وعليك أن تستسلم لها.

برز (ممدوح) من وراء الكتلة الصخرية، التى يحتمى بها، ليلقى المسدّس على مسافة بعيدة منه، قائلا:

ــ حسنًا.. إننى أستسلم، وألقى أمامك سلاحى، ولكن أرجو ألّا تطلق على الرصاص، وأن تصحبنى إلى رئيسك.

ظهر الرجل من وراء الصخرة التى يحتمى بها، وهو يصوّب إليه مسدّسه، قائلا:

ــ رئيسى أمرنى بإعادتك إليه حيًا أو ميتا، وأنا أفضّل الشق الأخير، فمن الأسهل والأفضل أن أسلّم إليه جثتك.

وفى تلك اللحظة ألقى (ممدوح) نفسه سريعًا على الأرض، ليتناول مسدّس الرجل الآخر، الملقى على الصخور، مطلقًا منه رصاصة محكمة إلى صدر غريمه، الذى فوجئ بتصرف (ممدوح) المفاجئ، ولكن بعد فوات الأوان، إذ أخذ يترنح من أثر الرصاصة، وقد سقط المسدّس من يده، ثم لم يلبث أن هوى فوق المنحدر، ليتدحرج عليه، متخذا طريقه إلى أسفل كزميله..

وتابع (ممدوح) هبوطه فوق المنحدر الصخرى، حيث وجد السيارة الحمراء واقفة، وإلى جوارها (مرجريتا)، التى شاهدت ما يحدث، وقد تملّكتها حالة من الرعب والقلق، وأخذت تلوّح مشيرة إلى موقعها، فاتجه نحوها فى سرعة، وهو يعرج بإحدى قدميه، من أثر ارتطامها بالصخر، وما أن رأته الفتاة على هذه الحالة المزريَة، وقد لطخت الدماء ثيابه وأصابت الجروح مواضع متعددة من جسده، حتى صرخت من شدة الفزع، ولكنه طالبها بالصمت، وهو يأمرها بالدخول إلى السيارة، بعد أن سبقها بالوثوب أمام عجلة القيادة، ليدير محرّكها فى سرعة، وسألته الفتاة بجزع:

ــ ماذا حدث؟ لقد سمعت طلقات الرصاص، ورأيتك تتبادل الطلقات مع هذا الشخص الذى..

ولكن (ممدوح) قاطعها، قائلا:

ــ اربطى حزام الأمان حول جسدك، وتشبثى بمقعدك جيداً...

قال هذا وهو ينظر فى المرآة المعلّقة داخل السيارة، حيث كانت هناك سيارة أخرى سوداء تتبعهما..

ولم تفهم الفتاة مغزى الطلب، الذى طلبه منها (ممدوح)، إلّا عندما سمعت صوت إحدى الطلقات تمرق بجوار إطار السيارة، التى يركبونها، فصرخت:

ــ إنهم يطاردوننا.

ولكن (ممدوح) لم يجبها، بل أطلق العنان لسرعة سيارته، حتى وصل بها إلى تقاطع فى نهاية الطريق الأسفلتى الضيق، يقود إلى طرق أخرى متفرّعة، أكثر اتساعًا، ورأى شرطى المرور يشير لهما بالتوقف؛ حتى يسمح لحركة السيارات القادمة من الاتجاهين الآخرين بالمرور، لكن (ممدوح) وجد نفسه مضطرًّا لمخالفة إشارة الشرطى، بعد أن كادت سيارة مطارديه تلحق به، فاقتحم الطريق العرضى، على الرغم من اقتراب سيارة نقل مسرعة من الجهة اليسرى..

وصرخت الفتاة، بعد أن كادت سيارة النقل تصدم بمؤخرة

السيارة التى يقودها (ممدوح)، فى أثناء انطلاقها، ولكن قبل أن تنتهى من صرختها، عاد وجهها ينطق بالفزع مرة أخرى، عندما وجدت (ممدوح) يواصل طريقه، مقتحمًا عرض الطريق التقاطعى على الرغم من اقتراب سيارة أخرى مسرعة، من الجهة اليمنى، وفى هذه المرة اصطدمت السيارة بمؤخرة سيارة (ممدوح)، فحطّمت مصباحيها الخلفيين، وتسبّبت فى رفع غطاء حقيبة السيارة الخلفى إلى أعلى، ولكن (ممدوح) لم يتراجع، بل واصل طريقه، وهو ينهب الأرض نهبًا، فقد كان عليه أن يبتعد عن أنظار مطارديه بأية وسيلة كانت.. لا من أجل إنقاذ حياته وحياة الفتاة فقط، ولكن حتى لا يتيح لأى منهم تبين حقيقة الفتاة، بعد أن تنكّرت فى ثياب رجل، وأخفت معالم شخصيتها، إذ كان (ممدوح) حريصًا على أن تبقى (مرجريتا) بعيدة عن الشبهات، وعن شكوك (شيلتون)، حتى لا يُحرم من جهودها فى مساعدته فيما بعد، وبالفعل عجز أعوان (شيلتون) عن مطاردته، واضطر إلى التوقف، حتى ينتهى عبور السيارات القادمة من تقاطعى الطريق، وأتاح هذا لـ(ممدوح) الفرصة، لكى يفلت من مطاردتهم، ويتخذ طريقًا جانبيًا تظلّله الأشجار..

ونظرت إليه الفتاة، وهى تلهث من شدة الانفعال، قائلة:

— كاد قلبى يتوقّف ، من شدّة الخوف .

— أوقف السيارة ، وهو يقترب منها ، قائلًا :

— آسف ؛ لأننى عرّضتك لهذه المخاطرة ، ولكن كان يتعيّن علىّ أن أفعل ذلك ، لتتبيّنى حقيقة الرجل الذى تعملين لحسابه .

نظرت الفتاة إلى الطريق أمامها ، قائلة بحزن :

— لقد تأكّدت ، وكان هذا هو إحساسى نحوه منذ البداية .. إنه رجل غامض ، وفى تصرفاته ما يثير الخوف .. إذن فهو الذى قتل (بولنسكى) !

(ممدوح) :

— (بولنسكى) لم يكن أيضًا الملاك الذى تتصورينه .. لقد سخّر علمه وخبرته لصالح (شيلتون) ، من أجل استنباط نوع من الحشرات الرهيبة التى يمكنها أن تبيد كل مزروعات العالم ، ولقد تخلص (شيلتون) من (بولنسكى) ، بعد أن حصل على الطريقة التى يمكنه بها تهجين هذه الحشرة فى مناخ معين ، وإعدادها لأداء دورها التدميرى ، وفى سبيل ذلك أنشأ معمل أبحاث وقاعدة سرية ، لاستخدامها فى إطلاق صواريخ معينة ، تحمل كبسولات بها الآلاف من هذه الحشرة الرهيبة ، وهدد

بإطلاقها على بلادى ، إذا لم تستسلم حكومتى لابتزازه ، وتدفع ملايين الجنيهات ، حتى لا تتعرّض لهذا الخراب المنتظر ، وسوف تتلوها بالطبع بلاد أخرى ، ويصبح العالم تحت رحمة الشر ، الذى زرعه ذلك الشيطان .

قالت الفتاة ، ووجهها يعبر عن إحساسها بفداحة الكارثة :

— يا للمأساة !! هل يمكن أن يكون (شيلتون) بكل هذا الشر والقسوة ، التى تهدد عالم بأسره ؟

(ممدوح) :

— وهذا ما يجعلنا بحاجة ماسة إلى مساعدتك .

(مرجريتا) :

— وما الذى يمكننى عمله ؟

(ممدوح) :

— أن تحاولى معرفة المكان ، الذى يخفى فيه (شيلتون) سلاحه التدميرى هذا ، وبأسرع وقت ممكن .

(مرجريتا) :

— لا أعتقد أن (شيلتون) سيتيح لى الفرصة لمعرفة ذلك ، ولكنى لاحظت أنه لم يعد يتردّد كثيراً على الشركة ، وأنه يقضى معظم وقته فى قصره المطلّ على البحر ، وأحيانًا كثيرة يطلب

منى إحضار الأوراق الخاصة بالشركة له فى قصره ، لكى ينهيها هناك ، وهذا لم يكن يحدث من قبل .

(ممدوح) :

ــ ألم تلحظى أنه يتردَّد على مكان معين فى القصر ؟

أجابته ، قائلة :

ــ لا .. لا أعتقد .. اننى قد لاحظت ذلك .

وصمتت قليلًا ، ثم قالت :

ــ عدا ....

سألها (ممدوح) فى لهفة :

ــ عدا ماذا ؟.. حاولى أن تتذكرى .

(مرجريتا) :

ــ إن (شيلتون) مغرم بالنباتات والزهور ، وقد أقام كوخًا زجاجيًا فى مكان قصى من حديقة القصر ، يحتفظ فيه بأنواع نادرة من الزهور والنباتات ، التى يرعاها بنفسه ، ولا يسمح لأى شخص بالاقتراب من هذا الكوخ الزجاجى ، حتى بستانى الحديقة نفسه ، وهو يقضى فيه ساعات طويلة ، ويُحرص على إغلاقه بنفسه ، ولا يطلع عليه حتى أقرب المقربين إليه .

فكَّر (ممدوح) قليلًا ، وهو يقول :

ــ كوخ للنباتات والزهور .. أمر غريب حقًّا .. (مرجريتا) إننى أريد أن أرى هذا الكوخ بنفسى .

قالت الفتاة باضطراب :

ــ ولكن .. كيف ؟ هذا أمر مستحيل .

ولكنها كانت تتحدَّث إلى (ممدوح عبد الوهاب) .. وهذا يعنى أنه لا وجود لتلك الكلمة .. كلمة المستحيل .

* * *



١١ ــ قاعدة الشيطان ..

توقَّفت الفتاة بسيارتها أمام بوابة القصر ، وهى تسأل الحارس :

ــ هل مستر (شيلتون) بالداخل ؟

أجابها قائلًا :

ــ نعم يا سنيورا .. إنه فى انتظارك .

عبرت الفتاة بسيارتها البوابة ، وهى تتقدَّم نحو مبنى القصر ، حيث انتحت بها جانبًا بجوار الحديقة ، وهبطت منها وهى تتلفَّت حولها لاستكشاف المكان ، وما أن تأكدت من أن أحدا لا يراها ، حتى اقتربت من مؤخرة السيارة ، لتفتح صندوقها الخلفى ، حيث كان (ممدوح) مختبئًا بالداخل ، وقالت له هامسة :

ــ هيَّا سريعًا قبل أن يلمحك أحدهم .

وثب (ممدوح) إلى الأرض ، وهو يتلفَّت حوله بدوره ، وأشارت له الفتاة نحو أحد أرجاء الحديقة ، قائلة :

ــ الكوخ يقع فى نهاية هذا الطريق .

قال (ممدوح) هامسًا :

ــ حسنا .. خذى حذرك ، وتصرَّفى بطريقة طبيعية .. لا تدعيه يلاحظ شيئًا .

أمسكت الفتاة بساعده ، قائلة :

ــ وأنت أيضا كن حريصًا .

رَبَّت (ممدوح) على يدها ، ثم تسلَّل إلى الحديقة ، وبعد قليل وصل إلى مكان الكوخ الزجاجى ، الذى كانت تغطِّه الألواح الزجاجية من الداخل مجموعة من النباتات الكثيفة والمتسلِّقة ، ووجد باب الكوخ مغلقًا من الداخل ، فقام باستخدام مشرط حاد من نوع خاص ، يمرِّره على زجاج الكوخ من الخارج ، مكوِّنا مستطيلًا كبيرًا ، ثم دفع هذا المستطيل دفعة صغيرة ، لينتزع الكتلة الزجاجية من مكانها ، وعبر الفجوة التى تخلَّفت عن هذا المستطيل ، إلى داخل الكوخ ، بعد أن أعاده إلى مكانه بطريقة فنية ، لا تتيح لأحد ملاحظته ، ثم أخذ يفحص الكوخ من الداخل ، ولكنه لم يجد أى شىء غير عادى ، فيما عدا أحواض الزهور والنباتات المختلفة ، التى كانت موزَّعة فى كل ركن من أركان الكوخ الزجاجى ، كما لو كانت محلًا صغيرًا لبيع



وأشارت له الفتاة نحو أحد أرجاء الحديقة قائلة:
ـــ الكوخ يقع فى نهاية هذا الطريق..

الزهور، وبدا الأمر مخيبًا للآمال، فلم يكن هناك ما يمكن أن يثير الاهتمام، فيما يتعلق بمهمته داخل هذا الكوخ، وقضى (ممدوح) أكثر من ساعة يفحص المكان دون جدوى، فاستعدّ لمغادرته بعد أن يأس من الوصول إلى شىء، ولكنه سرعان ما تجمّد فى مكانه، عندما تناهى إلى سمعه صوت أقدام قادمة من الخارج، فأسرع بإلقاء نفسه على الأرض، مختفيًا وراء عدد من أحواض الزهور، التى تملأ المكان، وبعد قليل وَجد باب الكوخ يُفتح، ليدلف منه (شيلتون) إلى الداخل، حيث قام بإغلاق الباب خلفه بعناية، وكان من الواضح أنه لم يشعر بوجود (ممدوح)، فقد ألقى نظرة سريعة على بعض أنواع النباتات إلى جوار الباب، ثم تقدّم نحو أحد أركان الكوخ، وتأهّب (ممدوح) لكشف أمره، فجذب مسدسه برفق، وكتم أنفاسه فى انتظار ما سوف يحدث، ولكنه وجد (شيلتون) يرفع آنية زهور كبيرة، فى الركن الذى يقف فيه لينحّيها جانباً، ثم وقف مكانها، وهو يضغط بمقدّمة حذائه على الأرض، ولدهشة (ممدوح) وجد جزءًا من أرضية الكوخ، يتحرّك إلى أسفل و(شيلتون) واقفًا فوقه، على شكل دائرة اسطوانية كبيرة، مخلفًا فجوة كبيرة، وبقى (ممدوح) ساكنًا فى مكانه، وهو يراقب ما حدث، قائلًا لنفسه:

ـ إذن فـ (شيلتون) يستخدم ذلك الجزء من أرضية الكوخ كمصعد خفى، يقوده إلى أسفل، ولكن تُرى إلى أين يؤدى ذلك المصعد السرى؟ وما هى إلا لحظات، حتى وجد (ممدوح) الدائرة الاسطوانية تعود إلى مكانها، من دون (شيلتون)، واقترب من تلك البقعة، يتفحّصها جيّدًا، وجد زرًا معدنيًا صغيرًا فى منتصف الدائرة الاسطوانية، داخل تجويفها، ففعل كما رأى (شيلتون) يفعل، وضغط بمقدمة حذائه على هذا الزر، وهو يقف فوق الدائرة الاسطوانية، التى أخذت تهبط به إلى أسفل تدريجيًا، إلى قاع صخرى مظلم، وسرعان ما استقرت به على الأرض، داخل تجويف جبلى، ولاحظ أنها لم تتحرك من مكانها عائدة إلى أعلى، مما يدل على أن حركتها، خلال الصعود والهبوط، تعتمد على الضغط على هذا الزر، الذى يقع فى منتصفها..

وخطا (ممدوح) عدة خطوات داخل التجويف الجبلى، ليجد أمامه فتحة طولية، ينبعث من ورائها بصيص من النور، فألقى نظرة عبر هذه الفتحة، ليجد أمامه سلمًا معدنيًا، يقود إلى قاعدة كبيرة، تضم العشرات من الخبراء والفنيين، وعددا كبيرًا من الأجهزة والمعدات، وصناديق زجاجية كبيرة، تضمّ

آلافًا من الحشرات، وثلاث صواريخ يتم تركيبها على منصّات إطلاق..

لقد كانت هذه هى القاعدة، التى يستعد (شيلتون) من خلالها لتنفيذ عمليته..

وبقى (ممدوح) مشدوهًا فى مكانه لعدة دقائق، وهو يراقب (شيلتون)، الذى يُشرف بنفسه على تركيب الصواريخ بمعدّاتها الإلكترونية، فوق منصّات الإطلاق، ويصدر أوامره لأعوانه، وأدرك أنهم يستعدون لإطلاق الصواريخ، بعد أن شارفت المهلة الزمنية المحدّدة الانتهاء، ولم يكن بوسعه وحده أن يفعل شيئا، بل كان عليه أن يتصل سريعًا برفاقه وبـ (القاهرة)، ليعلمهم أنه قد عثر على القاعدة السرية، لإطلاق الصواريخ، التى تحمل تلك الحشرة القاتلة، قبل أن يتصرّفوا على أساس إنه لم ينجح فى مهمته، نظرًا لعدم اتصاله بهم حتى الآن، ويبدءون فى تنفيذ شروط المنظمة..

وأسرع (ممدوح) يعتلى الدائرة الاسطوانية الأرضية المتحرّكة، وهو يضغط الزر الموجود فى منتصفها، لتعاود الصعود به إلى الكوخ الزجاجى، حيث نزع قطعة الزجاج المستطيلة من مكانها، واندفع خارجًا، ولم يكد يخطو داخل

الحديقة عدّة خطوات، حتى وجد يدًا توضع على كتفه، فاستدار سريعًا وهو يقبض على مسدّسه، ولكنه فوجئ بوجود (مرجريتا) أمامه، فسألها، قائلًا:

— (مرجريتا).. ما الذى جاء بك إلى هنا؟

أجابته وهى لا تخفى فرحتها برؤيته سالمًا:

— لقد أصابنى القلق عليك، وخشيت أن تكون قد تعرّضت لمكروه، خاصة عندما رأيت (شيلتون) يتجه إلى الحديقة، وعلمت أنه فى طريقه إلى الكوخ الزجاجى.. هل علم بوجودك؟

همس (ممدوح):

— (مرجريتا).. القاعدة السرّية لإطلاق الصواريخ تكمن أسفل هذا الكوخ، داخل مغارة جبلية، وهم يستعدون لإطلاق الصواريخ بالفعل.

بدا وكأنها تعيش أحداثًا خيالية، وهى تضع يدها على وجنتها، قائلة:

— هل يمكن أن يكون هذا معقولًا؟

قال (ممدوح) بانفعال، وهو يتلفّت حوله، مقدّمًا لها بطاقة كان يحملها فى جيبه:

— اسمعينى جيدًا، فليس لدينا وقت نضيعه.. ستذهبين إلى هذا العنوان، المدوّن فى ذلك الكارت، وهناك ستلتقين بشخص يُدعى (بدر). أخبريه بما قلته لك الآن، واطلبى منه أن يستعد بمجموعته الانتحارية. وأخبريه أيضاً أن يتصل بـ(القاهرة)، لكى يتوقفوا عن تنفيذ طلبات المنظمة لأطول وقت ممكن، إلى أن يتصل بهم أحدنا من (مدريد)، وهناك داخل الكوخ دائرة اسطوانية متحرّكة، تتوسّط أرضيته، ولها زر يعمل على تشغيل هذه الدائرة كمصعد متحرّك، يؤدى إلى المغارة الجبلية، يمكنهم استخدامه فى حالة مهاجمة القاعدة، كما أعتقد أن هناك مدخلًا آخر، ربما عن طريق البحر، حيث يقوم ذلك المرتفع الجبلى، الذى يقوم القصر فوقه.. هل فهمتى؟.. إنك الوحيدة التى تستطيعين مغادرة القصر، دون أن تثير الشك، أو التدخل من جانب أعوان (شيلتون)، وعليك أن تنفذى ما طلبته منك بأقصى قدر من السرعة.

قالت الفتاة:

— حسناً.. لقد فهمت.. ولكن أنت.

(ممدوح):

— سأبقى هنا، فقد يحتاج الأمر منى إلى تدخل سريع، أو ربما عثرت على وسيلة ما، لإحباط هذه العملية.



اندفعت الفتاة مسرعة عبر أشجار الحديقة ، فى طريقها إلى سيارتها ، ولكن فجأة برز لها أحد الأشخاص المسلحين ..

قالت الفتاة فى رجاء :

ــ (ممدوح) أرجو ألا تقدم على أى عمل متهوّر ، قد يعرّضك للموت . ولكن (ممدوح) استحثّها على الإسراع ، قائلًا :

ــ إذهبى أنت الآن ، فلا وقت لدينا نضيعه .

اندفعت الفتاة مسرعة عبر أشجار الحديقة ، فى طريقها إلى سيارتها ، ولكن فجأة برز لها أحد الأشخاص المسلّحين من أتباع (شيلتون) ، وهو يحدجها بنظراته ، قائلًا :

ــ إلى أين يا سنيورا ؟

قالت الفتاة :

ــ سأغادر القصر .

ولكن الرجل هز رأسه ، قائلًا :

ــ آسف يا سنيورا .. لقد أمر السنيور (شيلتون) بألَّا تغادرى القصر حتى عودته ، كما أنك قد تجاوزت الحدود ، بالاقتراب من هذا المكان المحظور ، وهو ما يجعلنى مضطرا إلى البقاء معك ، حتى يحضر سنيور (شيلتون) ، وينظر فى أمرك .

قالت الفتاة ، محتجة :

ــ ولكن ...

ولكنه صوّب إليها فوهة مدفعه الآلى، مقاطعًا :

ــ تقدمى أمامى يا سنيورا .

ولكن لم تكد الفتاة تتحرّك فى صحبة الرجل عدة خطوات، حتى برز لهما (ممدوح)، من وراء الأشجار، حاملًا فى يده أصيصًا من الزهور، ليلقى به فى وجه الرجل، وترنّح الرجل من أثر تهشم أصيص الزهور فى وجهه، ولكنه بقى محتفظًا بسلاحه، واستعدّ لإطلاق الرصاص على (ممدوح)، ولكن (ممدوح) عاجله بضربة خنجر قوية فى أحشائه، أردته صريعًا فى الحال، وقالت له الفتاة وهى ترتعد :

ــ (ممدوح) .. لقد كنت ...

ولكنه أمرها بالصمت، وهو يستدير سريعًا حاملًا المدفع الآلى، الذى سلبه من الرجل، ليضرب بمؤخرته شخص آخر، كان يستعد لإطلاق الرصاص عليه، بعد أن تسلّل من وراء إحدى الأشجار، فسقط الرجل على الأرض مغشيًّا عليه، على أثر الضربة التى تلقّاها، فى حين أمسك (ممدوح) يد الفتاة، واندفع يجرى بها عبر الحديقة، ليساعدها على الوصول إلى السيّارة ..

وفى تلك اللحظة كان الرجل، الذى سقط مغشيًّا عليه، قد

استرد وعيه بعض الشيء، فتناول صفارة صغيرة من جيبه، وأخذ ينفخ فيها، وتعالى الصفير فى أرجاء القصر، بعد أن أخذ يتردَّد من شخص إلى آخر، فى حين واصل (ممدوح) اندفاعه مع الفتاة، واندفع عشرات من الأشخاص فى اتجاه الحديقة، وهم يحملون أسلحتهم، فقال (ممدوح) للفتاة بلهجة آمرة :

ــ سأعمل على جذب انتباههم، أما أنت فاحتفظى بثباتك، واستقلّى السيارة لتغادرى القصر، وتنفذى ما طلبته منك على الفور، فلا أعتقد أن الجميع قد تلقوا ذلك الأمر، الذى تلقّاه هذا الرجل من (شيلتون)، بمنعك من مغادرة القصر .. هيا لا تضيعى الوقت .

وعلى الرغم من تردد الفتاة، إلا أنها سرعان ما امتثلت لأمر (ممدوح)، الذى اندفع يجرى فى اتجاه مغاير، محاولًا جذب انتباه أولئك الأشخاص، الذين اندفعوا إثر انطلاق السيارة، وبعد قليل وجد (ممدوح) نفسه محاصرًا بعشرات الأشخاص، وهم يصوّبون إليه أسلحتهم، فى حين كانت الفتاة قد انطلقت بسيارتها مغادرة القصر ..

وكان هذا يكفيه ..

* * *

١٢ ــ صراع مع الزمن ..

ابتسم (شيلتون)، دون أن تخفَّف الابتسامة من صرامة ملامحه، قائلًا لـ(ممدوح):

ــ إذن فقد عرفت طريقك إلى القاعدة .. هل تعرف أننى قد بدأت أُعجب بك بالفعل، فلقد أفلتَّ بطريقة جيدة من الفخ، الذى أعددته لك فى (تورنادو)، وهأنتذا تتسلَّل إلى قصرى، ثم إلى القاعدة التى أخفيت فيها الصواريخ، بمعاونة سكرتيرتى الحسناء (مرجريتا)، لترى بعينيك كل ما تم إعداده فى ذلك المكان .. إنه عمل كبير ورائع .. أليس كذلك ؟.. ولكنك لن تستفيد شيئا من المعرفة، بل كل ما هناك أنك ستعجل بتنفيذ العملية، التى توعَّدنا بها بلادك، وعليكم أن تتحملوا نتيجة حماقتكم، ومحاولة التصدى لعملية كبيرة كهذه ببعض المغامرات الصبيانية، لا طائل منها، وسوف أجعلك ترى بنفسك نتيجة مغامرتك الحمقاء، قبل أن أقضى عليك .

اصطحب (شيلتون) (ممدوح) إلى القاعدة السرية، حيث كان يجرى إعداد الصواريخ للإطلاق، فوق منصاتها، وقد انهمك الخبراء والفنيون فى تجهيز اللمسات الأخيرة لأجهزتها الإلكترونية، وسأل (شيلتون) أحد الخبراء :

ــ هل أصبح كل شىء جاهزًا ؟

أجابه الخبير :

ــ ستصبح الصواريخ معدّة للإطلاق خلال لحظات .. لقد انتهينا من تجهيز عوامل التبريد المحيطة بالكبسولات، حتى لا تتأثر بالضغط الحرارى، الذى يمكن أن تتعرَّض له الحشرات داخلها، ونحن نوجه الآن مؤشرات الإطلاق، داخل الأجهزة الإلكترونية، لإصابة الأهداف بدقة .

وتحوَّل (شيلتون) إلى (ممدوح) مبتسمًا، وهو يقول :

ــ هل رأيت بنفسك ؟.. لقد أصبحت الصواريخ معدَّة للإطلاق، وعما قليل سترى بعينيك تلك الصواريخ، وهى تأخذ طريقها صوب المواقع التى تم تحديدها فى بلادك .

سأله (ممدوح) :

ــ ولكن كيف سيتم إطلاقها من داخل المغارة الجبلية ؟

ضغط (شيلتون) أحد الأزرار، فى جهاز موضوع أمامه، قائلًا :

ـ هكذا..

ورأى (ممدوح) جزءًا من المغارة الجبلية يتحرَّك جانبا، كاشفًا البحر أمامه..

إذن فقد كان حدسه صحيحًا، فتلك المغارة الجبلية تقوم داخل المرتفع الجبلى، الذى شيِّد فوقه قصر (شيلتون)، ومدخلها يطلّ على البحر مباشرة، ليسمح بُحريّة الحركة، والسرّية بالنسبة للعاملين داخل هذه القاعدة..

وتحرَّكت منصّات الصواريخ داخل الكهف إلى مدخله، حيث أصبحت كبسولاتها مصوَّبة إلى الخارج، وقال (ممدوح)، محاولًا كسب المزيد من الوقت:

ـ ألا يقلقك فرار (مرجريتا) من القصر، بعد أن علمت بسرِّك؟

أجابه (شيلتون)، بثقة:

ـ إطلاقا يا عزيزى، فقد أرسلت رجالى خلفها، وحتى لو أفلحت فى الهروب منهم، فبعد أن أنتهى من إطلاق الصواريخ، سنجلى كل تلك الأشياء التى تراها عن المكان، بحيث يبقى فى النهاية مجرّد ممرّ سرّى، للأمير الأسبانى القديم، الذى بنى هذا القصر، والذى كشفته بالصدفة البحتة، فلن توجّه إلىَّ أية مسئولية، عن أى شىء.

قال (ممدوح)، وعيناه تراقبان أجهزة الإطلاق:

ـ تفكير محكم.. إنك لم تدع مجالًا لأى خطأ.

قال (شيلتون)، وهو يستوى فوق أحد المقاعد، أمام منصّة الإطلاق:

ـ أشكرك يا عزيزى.. يسرّنى أنك تقدّر مجهوداتى.

وأصبح من المتعيِّن على (ممدوح) أن يتصرف سريعا، قبل فوات الأوان..

كان هناك شخصان مسلّحان، يقفان خلفه تمامًا، وكان (شيلتون) جالسًا على المقعد المجاور له، وذلك يعنى أن أى حركة من جانب (ممدوح) كانت ستنتهى بموت سريع له..

وتذكَّر (ممدوح) ماقاله له الدكتور (سعيد)، عالم الإلكترونيات فى الإدارة الفنية، التابعة للمكتب (١٩)، عندما ذهب إليه، للتزوّد بالمعدّات اللازمة لتنفيذ المهمة.. لقد قال:

ـ إن إطلاق الصواريخ متوسطّة المدى، لو كانت هذه الصواريخ موجودة بالفعل لدى منظمة «الكوبرا»، يحتاج لبعض الأجهزة الإلكترونية المعقَّدة، ولقد تمكنت، بالاشتراك مع فريق من الفنيين هنا، من اختراع جهاز إلكترونى دقيق

الحجم، ولكن له قدرات فائقة، فى التشويش على الأجهزة الإلكترونية الأخرى، وإعاقتها عن العمل بكفاءة لعدة ساعات، عن طريق ذبذبات خاصة، ولكنى لا أخفى عليك أنه ما زال فى مرحلة التجارب، ولم تتم تجربته إلا بالنسبة لعدد محدود من الأجهزة، فلا نعرف مدى تأثيره على بعض الأجهزة الأخرى، وخاصة المتقدّمة منها، ولكننا مع ذلك سنزوّدك به، فقد يفيدك إذا ما اضطررت لاستخدامه فى أحد «المواقف».

وقرر (ممدوح) أن يستخدم هذا الجهاز على الفور، للتأكّد من مدى فائدته؛ فليس هناك ما هو أنسب من هذا الموقف لتجربته، ولم يكن الأمر يتطلب منه الكثير من الحركة، إذ كان عليه فقط أن يتظاهر بتحريك الخاتم الموجود فى إصبعه الوسطى، دون أن يثير ريبة هذين الشخصين الواقفين خلفه..

وبخفة ومهارة نزع الغلاف العلوى للخاتم، كاشفًا عن الجهاز الدقيق الموجود داخله، وبخفة ومهارة أيضا أدار الزرّ الصغير الموجود داخله، ليترك الجهاز يعمل دون أدنى صوت، وهو يصوّبه فى اتجاه منصة الإطلاق، التى يجلس أمامها (شيلتون)..

وعلى الفور اهتزّت الصورة الموجـــودة على الشاشة

التليفزيونية أمام (شيلتون)، وتحرّكت الأرقام بصورة عجيبة، صعودًا وهبوطًا على شاشة الكومبيوتر الثابتة فوق المنصّة، وبدا أنه هناك خللًا كاملًا قد أصاب منصة الإطلاق، فضرب (شيلتون) بقبضته المنصة أمامه، قائلًا بغضب:

— ما هذا الذى يحدث؟ ما الذى أصاب أجهزة الإطلاق؟

فى حين ابتسم (ممدوح)، قائلًا لنفسه:

— نتيجة رائعة يا دكتور (سعيد).. جهازك يعمل بكفاءة تامة.

وصرخ (شيلتون)، قائلًا:

— نادوا خبير الإلكترونيات.. هيا سريعًا.

وقال له أحد الرجلين الواقفين خلف (ممدوح):

— سأناديه بنفسى يا سنيور (شيلتون).. إنه فى المعمل الداخلى، ولقد رأيته بنفسى.

أحسّ (ممدوح) أن الحظ يبتسم له، فبعد أن كان يتأهب لمواجهة خصمين لم يعد أمامه سوى خصم واحد، ولكنه خصم مزوّد بمدفع آلى..

وقال (ممدوح)، وهو يتظاهر بتسوية أساور قميصه:

— هدئ من روعك يا مستر (شيلتون)، حتى لا تهتزّ صورتك أمامى.

وفى تلك اللحظة جذب أسورة قميصه من أسفل كم سترته الذى يرتديه، وهو ينظر إلى الأمام، ولكن من الغريب أنها انجذبت فى يده حتى غطت أصابع يديه، كما لو كانت مزوّدة بسوسته أو حبل مطّاطى، واعتمد (ممدوح) فى هذه الحركة غير الملحوظة، على أنه يولى ظهره للرجل المسلّح الواقف خلفه، بحيث لا يرى أسورة القميص الغريبة، التى تتحرك إلى الأمام على هذا النحو، لتغطى أصابع اليد، وعلى انشغال (شيلتون) بالعطل الذى أصاب منصّة إطلاق الصواريخ، ثم لم يلبث أن ترك الأسورة تعود إلى مكانها، فارتدّت إلى الخلف بنفس الحركة المطاطية الغريبة، التى جذبها بها، وترتّب على هذا انطلاق سهم خفى، لينفذ من كمّ السترة، ناحية المرفق الخلفى، والذى كان يحتفظ به منثنيًا على شكل زاوية قائمة، فيستقرّ فى أحشاء الرجل الواقف خلفه تمامًا..

واستدار (ممدوح) سريعًا، لينتزع المدفع الآلى من يد الرجل، دافعًا مؤخرته فى صدره، ليطيح به أرضًا، وفى أقل من الثانية، كان (ممدوح) قد صوّب فوهة المدفع إلى رأس (شيلتون) الجالس على المقعد أمامه، والذى ألجمته المفاجأة، وقال له (ممدوح)، محذّرًا:

ـ تراجع بمقعدك إلى الوراء قليلًا، وحذار من التهوّر وإلا فقدت حياتك.

تحرّك بعض الأشخاص تجاه المنصّة، ولكن (ممدوح) استطرد، وهو يلصق ماسورة المدفع المعدنية برأسه:

ـ التحذير من التهوّر ينطبق على أعوانك أيضا.. ففى الحالتين سأجعلك تدفع الثمن.

أمر (شيلتون) رجاله بالتوقّف، ولكنه قال بهدوء وثبات أعصاب:

ـ هذا لن يجدى يا عزيزى.. تأكّد أن هذا لن يجدى، ومن الأفضل لك أن تبعد هذا الشىء عنى، ونسعى لتفاهم جديد..

(ممدوح):

ـ لم يعد هناك مجال للتفاهم بيننا، فقد نذرت نفسى لإحباط هذه العملية، مهما كان الثمن، والثمن لن يكون حياتى وحدى، بل وحياتك أنت أيضا.. إذا لم تصغ لتحذيرى.

ولكن فى تلك اللحظة، كان هناك أربعة أشخاص يتحركون فى اتجاه (ممدوح) من الخلف، وقد صوّب كل منهم

سلاحه نحوه، وفجأة انطلق وابل من الرصاص خلف (ممدوح)، والتفت (ممدوح) سريعًا، ليجد (بدر) ومجموعته، وهم يُطلقون أسلحتهم، ليصيبوا الأشخاص الذين كانوا يتأهبّون لقتل (ممدوح) من الخلف، وهتف (بدر):

— مرحبا أيها المقدم، إننى أرى أننا قد جئنا فى الوقت المناسب.

وانتهز (شيلتون) فرصة انشغال (ممدوح) بزملائه، ليضربه بسكين فى معصمه، وهو يجذب المدفع من يده، ثم قفز من فوق المنصّة محاولًا الهرب، وسرعان ما انطلقت الرصاصات من الجانبين، وفى نفس الوقت كانت هناك مجموعة أخرى من رجال القوات الخاصة الأسبانية، يطفون فوق سطح الماء المواجه للحفارة الجبلية، وهم يرتدون ملابس الضفادع البشرية، لاقتحام المغارة..

واندفع (ممدوح) خلف (شيلتون)، فى أثناء محاولته الهرب، ولكن (شيلتون) أطلق عددًا من الرصاصات فى اتجاهه، واحتمى (ممدوح) بأحد جدران المغارة، محاولًا تفادى طلقات الرصاص، ولكن (شيلتون) وجد فى أثناء ارتداده إلى الخلف فوّهة معدنية تلتصق بظهره، وسمع صوتًا نسائيًا يقول:

— من الأفضل أن تستسلم أيها الرئيس.

استدار (شيلتون) ليجد أن (مرجريتا) هى صاحبة هذا الصوت، ولكنه لم يعبأ بتهديدها، بل ضربها بقوة فى وجهها بمؤخرة مدفعه، فألقاها أرضًا وأسقط المسدّس من يدها، واستعد لإطلاق رصاص مدفعه على جسدها المسجّى أمامه، ولكن (ممدوح) انقضّ عليه كالنمر، مطيحًا به أرضًا، وأخذ يصوِّب إليه لكماته، التى لم تكن بالقوة المعتادة، بسبب ما نزفه من دماء، وانتهز (شيلتون) الفرصة ليقبض على معصم (ممدوح)، الذى ينزف، وهو يضغطه بقوّة، جعلت (ممدوح) يصرخ من الألم، ثم صوَّب إليه لكمة عنيفة، أطاحت به أرضا..

وجاهد (ممدوح) لكى يساعد نفسه على النهوض، ولكن (شيلتون) استطاع أن يسبقه فى الوقوف على قدميه، صوّب إليه فوهة مدفعه، وهو يستعد لإطلاق الرصاص..

ولكن (مرجريتا) سبقته فى إطلاق رصاصة من مسدسها، الذى تناولته من الأرض، بعد أن استردَّت وعيها، وكانت هذه هى المرة الأولى، التى تستخدم فيها مسدس، ولكنها نجحت فى القضاء على ذلك الشيطان، الذى هوى على الأرض صريعًا، وقد ازدادت عيناه جحوظًا..

وانخرطت الفتاة فى بكاء شديد ، فى حين اقترب منها (ممدوح) ، ليحيط كتفيها بساعده ، وهو يحاول أن يهدئ من انفعالها ، وأخذت الفتاة تصرخ فى هستيريا ، قائلة :

ــ كان يجب أن يموت .. لم يكن يمكننى أن أفعل إلا هذا ؛ فهذا الرجل هو الشيطان .. الشيطان بعينه .

ثم أجهشت بالبكاء ..

***

فى اليوم التالى ، كان (ممدوح) يستعد لمغادرة (مدريد) ، بعد أن تم القبض على جميع أعوان (شيلتون) ، وتدمير الكبسولات التى تحتوى على هذه الحشرة ، وكذلك المعمل والأبحاث الخاصة بها ، للقضاء على كل أثر لها نهائيًا ، ووقفت (مرجريتا) تودّع (ممدوح) قبل سفره ، قائلة :

ــ تُرى هل نلتقى مرة ثانية يوما ما ؟

ابتسم (ممدوح) ، وهو يربِّت على وجنتها ، قائلًا :

ــ من يدرى ما الذى يرتبه لنا القدر ؟

قالت مرتبكة :

ــ (ممدوح) .. إننى ....

قال (ممدوح) ، هامسًا :

ــ أعرف ما الذى تريدين قوله ، ولكنك فتاة فاتنة بالفعل ، والحياة أمامك مزدهرة .. تأكدى أنك ستلتقين يومًا بشخص يستحقك .

وضغط على كلماته ، وهو يردف :

ــ ويستطيع أن يوفّر لك حياة مستقرة وآمنة ، ليس فيها مكان للأفاعى والثعابين ، من أمثال (شيلتون) ، فإننى أتعامل دائما مع هذه الأفاعى .. هل فهمت يا (مرجريتا) ؟

أومأت برأسها ، قائلة :

ــ فهمت .. ولكن ...

ولكن (ممدوح) لم يدعها تستطرد فى الحديث ، فقد لوَّح لها ، قائلًا :

ــ وداعًا يا (مرجريتا) .

واستقرّ (ممدوح) فى مقعده بالطائرة المتجهة إلى (القاهرة) ، وما أن أقلعت الطائرة ، لتحلق به فى السماء ، حتى أغمض عينيه ، مغمغمًا :

ــ تُرى أى ثعبان آخر تدخره لنا منظمة (الكوبرا) ، فى المرة القادمة ؟

لم يبحث عن الجواب ، وإنما ترك جفنيه يسترخيان ..
وذهب فى سبات عميق .

* * *

(تمت بحمد الله)

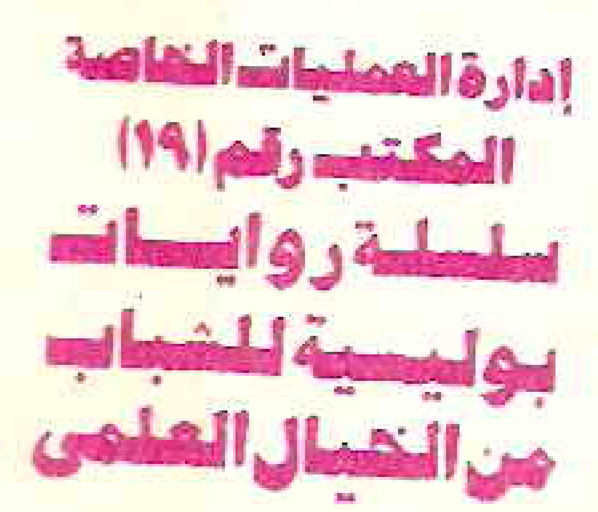
المؤلف



أ . شريف شوق

قصر الشيطان

كان يدرك أنـه لا نجاة له من موت محقق، إلا بالاحتفاظ بالمسدس فى ذلك الوضع الرأسى، وأنه لو تمكّن من خفض يده بوسيلة أو بأخرى، فلن يضمن أن تخطئه الرصاصة مرة أخرى.



٥٣

العدد القادم

الهدف الخفى

الثمن فى مصر
١٠٠ قرش
وما يعادله بالدولار الامريكى فى سائر الدول العربية والعالم